عاقبة تلك اللذائذ كما تلذذت بها كيف (و) قدادت بهم تلك المعاصي بمخالفة ذلك الامر الى الكفر حتى (كان عاقبة أمرها خسرا) أي خسران الاعمال الصالحة واللذات الباقية واين يكون لهم اللذة مع انهم (اعد الله لهم عذابا شديدا) بحيث لا نسبة لشدة العذاب الذكر اليه قبل وصولهم الى الآخرة لئلا يتأخر عن وقت وصولهم (فاتقوا الله) ان تخالفوا امرا من أوامره لشدة فيه وان خالفت ظواهر العقول (يا أولى الالباب) فلا تقولوا وصلنا الى لب كل شئ ولم نجد لهذا الباب الذي كفيكم الاطلاع على صدقه اذا كنتم من (الذين آمنوا) بالنظر في الباب الادلة القاطعة فاعتقدوا انه وان لم يكن معقولا ففيه ما يجلبكم الى تنوير القلب اذ (قد انزل الله اليكم ذكرا) أي ما يذكركم الله فكانه جعله (رسولا) يدعوا اليه ولا تلبيس في دعوته لانه (يتلوا عليكم آيات الله) أي المعجزات القولية (مبينات) للحق رافعة للشبهات وهي وان لم تخرج عقلاء العالم من ظلمات الاوهام والخيالات فهي (ليخرج) أهل الانصاف اعتقادا وعملا وهم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور) أي من ظلمات ضلال الاوهام والخيالات الى نور التحقيق والهداية (و) هذا وان أوجب الايمان والعمل بتلك الاوامر على تعب من مخالفة العقل وضيق لكنه اذا انكشف السر وقع في لذة كاملة واتساع عظيم لان (من يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات) فلا يبعد ان يدخله في الدنيا في جنات لذات العبادات والاعتقادات والاتساع فيها (تجري من تحتها الانهار) فلا يبعد ان يجري لهؤلاء انهار المعارف (خالدين فيها ابدا) فلا يبعد ان يزداد معارف هؤلاء ولا يبعد ان يرزق مثله الاطلاع على اسرار تخفى على كل العالم لانه (قد احسن الله له رزقا) في الاسرار ولم يحسن لسائر أولى الالباب ولا يبعد ان يخلق الله في الانسان اطوارا ويخلق لكل طور ادراكا كالقوى والنفس والعقل والقلب والسر والروح والخفاء اذ (الله الذي خلق) للمجردات (سبع سموات و) للماديات (من الارض) أي العالم السفلي طبقات (مثلهن) طبقة النار الصرفة وطبقة الاثير الممتزجة بالهواء يتولد فيها الشهب وذوات الاذناب وطبقة الزمهرير وطبقة الهواء الصرف وطبقة الماء الصرف وطبقة الطين المركب من الماء والتراب وطبقة التراب الصرفة عند المركز ولا يبعد ان يتنزل الامر الالهي من هذه الاطوار الى الاعضاء الدماغ والكبد والعين والاذن والانف واللسان والبشرة كما انه (يتنزل الامر) الالهي (بينهن) بالتحريك والتكوين والافساد وانما فعل ذلك (لتعلموا ان الله على كل شئ قدير) لانه لما قدر على الاسباب والمسببات دفعا لتسلسل الاسباب قدر على المسبب بدون الاسباب (و) لكنه راعى الحكمة في ترتيب المسببات على الاسباب لتعلموا (ان الله قد احاط بكل شئ علما) فيقدر على انزال ما لا يدركه عقول أكثر أولى الالباب ويعلم من الاسباب الموجبة للثواب والعقاب ما لا يدركه عقولهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

* (سورة التحريم) *

أن يتيناهم فجاءة أخوالهم فأخذوهم) ويقرأ يزفون بالتخفيف من وزف يزف بمعنى أسرع ولم يعرفها الكسائي والفراء قال الزجاج وعرفها غيرهما (قوله عز وجل ينا يبع)

سميت

سميت به تنبيها على عجب تحريم النبي ما أحل الله له لابتغاء رضا مخلوق ناقص وعجب ما يترتب عليه من تحليله مرة أخرى بأيسر شئ وهو الكفارة (بسم الله) المتجلي بكمالاته في أحكامه بحيث لو غيرت رجعت الى حالها بادنى شئ (الرحمن) برفع الحرج عنهم بالكفارة (الرحيم) بالعفو عن المغير. روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية في يوم حفصة فعلمت بذلك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت مارية على نفسي وأبشرك ان أبا بكر وعمر يملكان أمر أمتي واستكتمها فاخبرت بذلك عائشة وكانتا صادقتين فغضب عليه السلام عليها وطلقها طلاقا رجعيا واعتزل نساءه تسعا وعشرين يوما فانزل الله تعالى (يا أيها النبي) نادا ه ليقبل اليه بالكلية ويدبر عن كل ماسواه من الازواج وغيرهن وعبر عنه بالمبهم اشعارا بانه من غاية عظمته بحيث لا يعلم كنهه وأتى بحرف التنبيه تنبيها على غفلته عن مقداره وأتى بلفظ النبي اشعارا بانه الذي نبئ باسرار التحليل والتحريم الالهي (لم تحرم) مع ان مقتضى نبوتك ان لا تغير شيأ من حكم الله بعارض يمين أو غيره (ما احل الله) باعتبار ذاته وجميع أسمائه (لك) يا اكمل الخلائق (تبتغي) أي تطلب بتحريم ما فيه أكمل جهات الحل (مرضات أزواجك) مع انهن دون الرجال الذين يجب عليهم طلب رضاك وحقك ان لا تلتفت لرضا مخلوق على خلاف رضا الله (والله غفور) لذنب حالك وذنب أزواجك اذا لجانك الى تحريم ما أحل الله لك (رحيم) بك وبهن اذ لم يؤاخذ بذنب هذا التحريم الذي يشبه اعتقاد تحريم الحلال وهو كفر ومن رحمة الله انه (قد فرض) أي قدر (الله لكم) كفارة لهذا التحريم تشبه كفارة تقع (تحلة) عقد (ايمانكم) التي عقدت تحريم الحلال أو غيره وتحريم المرأة اذا لم ينو به طلاقا ولا ظهارا ولا عتاقا بل تحريم الذات توجب كفارة يمين وكذا ان لم ينو على أصح قولي الشافعي وان حرم طعاما فلا كفارة قيل اعتق عليه السلام رقبة في تحريم مارية وقيل لم يكفر لانه كان مغفورا له (و) انما فرض ذلك لينصركم على أنفسكم المتبادرة الى تحريم الحلال اذ (الله مولاكم وهو العليم) بما يحل اليمين (الحكيم) في الامر بحله حيث كان فعل ما حرم باليمين خيرا (و) ان لم تعرف قدر المغفرة والرحمة في حقك حين حرمت ما أحل الله لك لرضا أزواجك فاذكر غضبه لغضب النبي صلى الله عليه وسلم (اذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا) حديث مارية وخلافة أبي بكر وعمر فافشت الى بعض أزواجه (فلما نبأت به) بعض أزواجه (وأظهره الله عليه) غضبا عليها لفعلها ما يغضبك (عرف بعضه) حديث مارية فلامها وطلقها واعتزل نساءه (وأعرض عن بعض) حديث الخلافة مخافة انتشارها الموجب للتحاسد (فلما نبأها به قالت) لترددها انه من عائشة فتغضب عليها أو من الله (من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير) من غضبه لغضب نبيه وكما غضب الله عليها غضب على من أفشت اليها وهي عائشة لرضاها به فقال لهما (ان تتوبا الى الله) ليرضى عنكما فيرضى رسوله (فقد صغت) أي مالت عن الواجب من مخالفة الرسول بحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (قلوبكما وان تظاهرا عليه) أي تتعاونا على مخالفته (فان الله هو مولاه) أي

أي عيون تنبع واحدها ينبوع (قوله عز وجل بهيج) أي يبيس كقوله عز وجل ثم يهيج فتراه مصفرا (قال أبو عمر هاج من الاضداد يقال هاج اذا طال وهاج اذا جف ومنه قول علي بن

ناصر فلا يتركه فى غم مخالفتكما بل يجعله مشغولا به (وجبريل) يشغله بالوحى (وصالح المؤمنين) لشغله بالاسترشاد منه (والملائكة بعد ذلك) النصر المذكور (ظهير) أى معين بافاضة الخيرات عليه ثم انما تطلب كفاية هذا الغم لو يقين على نكاحه عليه السلام لانه لا غم عليه لو طلقهن من فواتهن فانه (عسى ربه) الذى رباه بما لا يتناهى من الكمالات (ان طلقكن) فلم يترك خيرا فيكن (ان يبدله أزواجا خيرا منكن) لكونهن (مسلمات) أى منقادات للنبى فى حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه (مؤمنات) أى مصدقات له فيما يعد من الثواب على ذلك ويوعد من العقاب على خلافه (قانتات) أى متذللات لا يتكبرن عليه فى شىء هذا مع كونهن بالنسبة الى الله تعالى (تائبات) من الكفر والمعاصى (عابدات) بالصلاة والزكاة والصيام (سائحات) بالحج وفى حب النبى صلى الله عليه وسلم (ثيبات و) فى قطع النظر عن غيره (أبكارا يا أيها الذين آمنوا) كما يخاف على أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فى مخالفتهن تبديل صفاتهن الحميدة بالذميمة يخاف عليكم وعلى أهليكم فى المخاصمة (قوا) أى احفظوا بمقتضى ايمانكم (أنفسكم وأهليكم نارا) اعدت للكافرين اذ يستتبع كل بغض صاحبه وشتمه بل ذمه (وقودها) من شدة ذكائها الاشياء الرطبة واليابسة المحضة (الناس والحجارة) ولا يكتفى بهذه الشدة بل (عليها) مع تلك الشدة (ملائكة غلاظ) لا شفقة لهم (شداد) أقوياء يدفع احدهم بدفعة سبعين ألفا فى النار (لا يعصون الله ما أمرهم) فيما مضى من الشدة (ويفعلون ما يؤمرون) فى المستقبل من مزيدها (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم) بان أعمالكم كانت دون هذه الشدائد التى تزداد كل يوم بل (انما تجزون) فقد (ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم التوقى من المعاصى التى يخاف جرها الى الكفر بالتوبة لتتخلصوا من الشدائد المتزايدة على الابد (توبوا) ملتبسين (الى الله توبة نصوحا) أى خالصة لتتخلصوا من المعاصى ظاهرا وباطنا وهى الندم على الذنوب الماضية واعادة الفرائض بقدر الامكان ورد المظالم على أربابها ثم ورثتهم ثم التصدق بها واستحلال الخصوم ان أمكن ثم الاحسان اليهم والعزم على أن لا يعود وتربية النفس فى طاعة الله تعالى كما رباها فى معصيته (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم) الجارة الى الكفر الموجب للخزى (ويدخلكم جنات) بلا عقاب وخزى بل مع مزيد لذة وجاه اذ (تجرى من تحتها الانهار) ولا يبعد عدم الخزى فى أهوال يوم القيامة لكونه (يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) من الكمل بل يتشرفون بالنور اذ (نورهم يسعى) على الصراط (بين أيديهم) بمسارعتهم الى الخيرات وتقديمهم اياها (وبايمانهم) لترجيحهم جانب الحق على أهويتهم (يقولون) اذا طفئ نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا) وان كان فى اخلاصنا نقص (واغفر لنا) ما كان فينا من النفاق الخفى (انك على كل شىء) من اطفاء النور واتمامه مع النفاق الخفى (قدير) ولما لم يتأت للعوام التوبة النصوح مع رؤية الكفار على أحسن الاحوال والمؤمنين فى الشدائد والاهوال قال (يا أيها النبى) اذ انبأت الكفار والمنافقين فلم ينتهوا بل عاندوا (جاهد الكفار والمنافقين) لتغير احوالهم (واغلظ عليهم) ليضعفوا فلا

أبى طالب رضى الله عنه
فمنى رهينة وأنا بها زعيم لمن
صرحت له العبر لا يهيج
على التقوى زرع قوم ولا
يظما عليها ناخ أصل) هاج
أى جف

يرغب فى أحوالهم المسلمون بل يتوبون عن مثل أحوالهم سيما اذا تذكروا ان هذه أحوالهم فى الدنيا (و) حالهم فى الآخرة ان (مأواهم جهنم وبئس المصير) لاحوالهم فيتحقق لهم التوبة النصوح ثم أشار الى أن رؤية الكافرين للمؤمنين لا ترغبهم فى أحوالهم حتى يتوبوا توبتهم النصوح فقال (ضرب الله مثلا للذين كفروا) فى عدم تأثرهم من المؤمنين (امرأت نوح) واعلة او والعة (وامرات لوط) واهلة أو والهة لان الوصلة من أسباب التأثير واولاها وصلة المرأة بالزوج واولى بذلك نسوة الانبياء عليهم السلام (كانتا تحت عبدين من) كمل (عبادنا صالحين) أى مبالغين فى الصلاح فلم تتأثرا برؤية صلاحهما (فخانتاهما) امرأة نوح بقولها للناس انه لمجنون وامرأة لوط باخبارها القومها عن الضيف (فلم يغنيا) بحق الزواج الذى هو أجل من حق النسب (عنهما من الله شيأ) من الاغناء (و) لكن (قيل) لهما يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) الذين لا وصلة لهم مع أهل الصلاح وفيه تعريض لعائشة وحفصة على اغلظ وجه واشده ان لم تتوبا (و) انما لا يتأثر الكفار من المسلمين لما يرون عليهم من الشدة فانه (ضرب الله مثلا للذين آمنوا) فى تحمل الشدائد (امرأت فرعون) آسية بنت مزاحم لما غاب موسى السحرة آمنت فتأثرت منهم مع ما رأت من شدائده عليهم فلما تبين لها ايمانها اوتديدها ورجليها باربعة اوتاد والقاها فى الشمس وأمر بصخرة عظيمة تلقى عليها فاحتملت تلك الشدائد (اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) أى فى أعلى درجات المقربين وذكرت الجار قبل الدار (ونجنى من فرعون) ذاته (وعمله) الشرك (ونجنى من) أيلام (القوم الظالمين) فنزع الله روحها قبل وصول الصخرة اليها فلم تجد ألما وفيه اشارة الى انه لا عذر لشخص اذا ابتلى بصحبة كافر وفيه تعريض لعائشة وحفصة فى احتمال الشدائد فى صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو الى هذا الحد ثم أشار الى ان تحمل المؤمن أدنى الشدائد يفيده اعلى الدرجات فكيف تحمل اعلاها (و) لذلك ضرب الله مثلا للذين آمنوا (مريم ابنت عمران التى) احتملت من الشدة انها (أحصنت فرجها) فافدناها فائدة جليلة (فنفخنا فيه من روحنا) أى روح خلقناه بلا واسطة أب (و) ليس ذلك بمجرد احتمال تلك الشدة بل لكونها مع ذلك (صدقت بكلمات ربها) التى جاءت بها الرسل (وكتبه) المنزلة عليهم علما وعملا فتأثرت منها (وكانت) مع ذلك مبالغة فى المجاهدة بحيث عدت (من) كمل الرجال (القانتين) فتأثرت من المجاهدة قال عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وفيه تعريض لعائشة وحفصة لو كانتا تائبتين * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(قوله عز وجل يسامون) أى يلامون (قوله عز وجل يبشرك) أى يخلقك يذرؤكم) أى (قوله تعالى يقترف) أى يكتسب (قوله عز وجل يبشر) و يبشر صفناهما واحد

* (سورة الملك) *

سميت به لاشتمالها على كثير مما ينبغى ان يكون عليه الملك من كثرة الخيرات وعموم القدرة والاحياء والاماتة واختبار اعمال الناس والغلبة والغفران ورفع الابنية لخدامه وعدم

التفاوت فى رعاياه وتزيين بلاده والقهر على الاعداء والترحم على الاولياء والامن ورخص الاسعار وان لا يقدر أحد على نصر من عاداه ولا على رزق من منعه وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى وتنجى من عذاب القبر على ما فى الحديث (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى ملكه (الرحمن) بكثرة خيراته (الرحيم) بالغفران مع عزته ورفع الابنية وابطال التفاوت والفطور وتزيين الملك وقهر الاعداء (تبارك) أى كثر الخيرات التى لا تتم الا بارسال الرسل (الذى بيده) أى تحت تصرفه (الملك) عالم الشهادة كثر به الخيرات للارواح باكتسابها منه كيف (و) لا مانع من تكثيرها اذ (هو على كل شئ قدير) وهو يحب الخيرات فيكثر أحب ما يقدر عليه ولحبه تكثيرها يحبه من الانسان باختياره لذلك خلق فيه ما يكون سببا لدواعيها فهو (الذى خلق الموت) اولا (والحيوة) ثانيا الدال على أن بعد الموت حياة ينتفع فيها باعمال الخيرات ويتضرر فيها باعمال الشرور (ليبلوكم ايكم احسن عملا) فيناسبه فى الاتيان بالخيرات فيقبض عليه الخير الكثير فى الحياة الثانية (و) ان لم يحسن الاعمال افاض عليه الشدائد اذ (هو العزيز) أى الغالب على من اساء بالانتقام منه لكنه (الغفور) لمن خالط الاحسان مع الاساءة ترجيحا لجانب الخيرات وتكثير الخيرات مع رعاية عزته فى رفع البناء وغفرانه فى ستر فعله هو (الذى خلق سبع سموات) ليفيض بواسطة كل سماء فيضا خاصا ينسب اليه ويحتجب به ولحبه المحاسن جعلها (طباقا) يوافق بعضها بعضا بلا تضاد ليتم امر الحكمة فى الكوائن والفواسد فيكون داعيا الى اتمامها فى الاعمال فتصير احسن (ما ترى فى خلق الرحمن) أى عام الرحمة فى عالم الكون والفساد والعالم العلوى اولى بذلك (من تفاوت) فى رعاية الحكمة بل راعاها فى كل كائن وفاسد فان شككت فى ذلك (فارجع البصر) أى كرر نظر العقل (هل ترى من فطور) أى شقوق وخلل (ثم) ان خالج فى قلبك قصور النظر الاول (ارجع البصر) أى كره (كرتين) أى تكريرا بعد تكرير (ينقلب) أى يرجع (اليك البصر خاسئا) أى مطرودا كيف (وهو حسير) أى خال عن مطلوبه الذى هو الخلل فهذا دليل على انه يحب اتمام الحكمة فى كل شئ فهو يحبها فى اعمالكم لتصير احسن (و) اتمام الحكمة فى العالم العلوى ظاهر مع رعاية المحاسن فانا (لقد زينا السماء الدنيا) أى القربى من العرش (بمصابيح) أى كواكب مركوزة فيها أو القربى من الارض بمصابيح مركوزة فيما فوقها لكن يتخيل أهل الارض انها مركوزة فيها لظهورها فيها وذلك ليتزين الانسان بالامور التى فوق مرتبته فى الحال ليخرج ما فيه بالقوة الى الفعل فى المآل (و) لكرامتنا اساءة العمل (جعلناها رجوما للشياطين) المستمعة الى أخبارها لاغواء أهل الارض وافساد اعمالهم وذلك بان تثير الملائكة المتعلقة بها نارا من غير اقتباس منها وهذا اولى مما قيل انها ادخنة محترقة اذ لو احترقت لازدادت صعودا لكن كثيرا ما نراها نازلة وذاهبة يمينا وشمالا (واعتدنا لهم) وراء هذا الرجم على هذا الاستماع المقصود به الاغواء (عذاب السعير) وان كانوا من النار فيساط مادتهم على صورتهم للتعذيب (وللذين كفروا) فعبدوا هؤلاء المرجومين فاشركوهم (بربهم) الذى رباهم بافاضة انواع الخيرات سيما

(قوله عزوجل يغض عن ذكر الرحمن) أى يظلم بصره عنه كان عليه غشاوة ويقال عشوت الى النار اعشو فاتاعاش اذا استدللت عليها بيصر ضعيف قال الحطيئة

ارسال الرسل (عذاب جهنم) من النار والزمهرير والحيات والعقارب وغيرها (وبئس المصير) مصيرهم الى جهنم والى ربهم كاعداء الملك يحملون اليه فيعمل فيهم بمقتضى عزته وأول عذابهم الذى بعده أشد منه انهم (اذا القوا فيها) أى قاربوا ان يطرحوا فيها ليصيروا وقودها (سمعوا لها شهيقا) صوتا كصوت الحمار (و) هو صوت غليانها اذ (هى تفور) أى تغلى كالمرجل أو اشد اذ (تكاد تميز) أى تتفرق اجزاؤها الى السماء والارض (من الغيظ) على الذين اغضبوا الله حين بعث اليهم الرسل لذلك (كلما القى فيها فوج) أى جماعة اتفقوا على معصية او كانوا أهل بلد او زمان أو أمة نبي وذلك لاستحقاق البعض التقديم والتسفل والبعض العكس (سألهم خزنتها) ليزدادوا غيظا اذا لم يكن لهم عذر (الم يأتكم نذير) أصلا والعقلاء اذا سمعوا من اداهم مخوفا اجتهدوا فى النجاة عنه (قالوا بلى قد جاءنا نذير) واكثر (فكذبنا) جميع النذر مع ان لكل واحد منهم معجزات وحججا (وقلنا ما نزل الله) من الاوامر والنواهى والمعجزات (من شئ ان أنتم الا فى ضلال كبير) بافترائكم عليه هذه الامور (و) اعترفوا لانفسهم بالضلال الكبير الذى نسبوه الى الرسل اذ (قالوا لو كنا نسمع) ما دلت المعجزات على صدقه وان لم نعقله (أو نعقل) ببديهة او نظر (ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم) تكذيب الرسل والاعراض عما دلت المعجزات على صدقه وعن العقول حين لا يفيدهم (فسحقا) أى بعدا عن النجاة والالطاف الالهية (لاصحاب السعير) بل هو سبب مزيد غيظ الله تعالى وغيظ الخزنة والنار والعياذ بالله من ذلك وغاية ما استفادوا من عبادة الشيطان رقى او أدوية ولا تفوت هذه الفائدة من خشى الله (ان الذين يخشون ربهم بالغيب) فتركوا ما ينسب الى الشياطين من الفوائد الظاهرة (لهم مغفرة) لذنوبهم التى يبتلى من اجلها فيحتاج الى الرقى والادوية (و) لو ابتلوا لهم (أجر كبير) على صبرهم على الابتلاء وتركهم الاسترقاء (واسروا قولكم) بأن تقولوا اللهم ادفع عنا هذا الشيطان بما تعلم (او اجهروا به) فهما سيان عند الله (انه عليم بذات الصدور) أى بالخواطر المخصوصة بالقلوب التى ربما لا يشعر بها اربابها (الا يعلم) تلك الخواطر (من خلق) الخواطر والقلوب (و) لم يكن خالقهما لعلمهما أيضا (هو اللطيف) اذ هو المجرد والمجرد يجب ان يعلم الكل لانه (الخبير) بذاته وكل من علم ذاته جاز ان يعلمه مع غيره وكل ما جاز فى حق الله فهو واجب اذ كماله بالفعل لا بالقوة ثم اشار الى انه لا ينبغى ان يترك ارض لخوف شيطان ولا يجعل له رزق اذ الله (هو الذى جعل لكم الارض ذلولا) لا تصعب بشيطان (فامشوا فى مناكبها) أى جوانبها أو جبالها ولا تخافوا القاء الشيطان فيها (وكلوا من رزقه) فلا تجعلوه لشيطان (و) ان كان له أثر فهو باذن الله اذ (اليه النشور) أى المرجع فلا يأذن فى حق من توكل عليه (أأمنتم) اذا خفتم شيطانا بعد التوكل عليه (من) هو اعز منه اكون سلطانه (فى السماء أن يخسف بكم الارض) التى تتركون المشى فى مناكبها لاجله (فاذا هى تمور) تتحرك بكم وترتفع فوقكم (ام أمنتم) اذا استعنتم بشيطان فى دفع مرض أو مشقة (من فى السماء) سلطانه (ان يرسل عليكم حاصبا) أى حجارة فان تركتم فى الدنيا (فستعلمون)

متى تانه نعشو الى ضوء ناره
تجد خير نار عندها خير موقد
ومن قرا يعش بفتح الشين
معناه يعم عنه يقال عشى
يعشى فهو اعشى اذا لم
يبصر بالليل وقيل معنى

فى الآخرة (كيف نذير) اى ما انذركم به من ارسال الحاصب وان صدقتموهم فى اخبارهم السماوية فهذا تكذيب منكم للانبياء (ولقد كذب الذين من قبلهم) فانكرت عليهم بالاخذ الشديد (فكيف كان نكير) يزعمون انهم لو لم يصدقوا الشياطين فى أخبارهم يقع عليهم الامر السماوى عن غفلة منهم (ولم يروا الى الطير) مع كونهن فى محل السقوط لكونهن (فوقهم) فان أمسكهن كونهن (صافات) أى باسطات أجنحتها (و) لكن لا يؤمن عليهن اذ (يقبضن) أجنحتها فحينئذ (ما يمسكهن الا الرحمن) من رحمته بهن فالمتوكل أولى اذا قصده شيطان (انه بكل شئ بصير) ثم غاية الرقى والادوية انها جند يهزم أعداء الامراض فهل تعتقدون اذا حاربتم بجنودكم ان الله ينصركم (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن) وقد ظهر لكم غلبة فئة قليلة فئة كثيرة باذن الله لكنكم من كفركم بالله تغترون بجنودكم (ان الكافرون الا فى غرور) بالظاهر من الحقيقة وان سلم ان الجند ناصركم فهم انما صاروا جندكم بما يعطيكم الله من الرزق أتعتقدون انكم ترزقونهم (أمن هذا الذى يرزقكم) هو يرزقهم وان كنتم رازقيهم فهل ترزقونهم (ان أمسك رزقه) عنكم فاذا لم ترزقوهم فكيف يكونون ناصرين لكم فهم ينصرونكم بما يعطيكم الله وهم لا يتوالون بهذه المقدمات (بل لجوا) أى تمادوا (فى عتو) أى عناد (ونفور) شراد عن الحق لتنفرطباعهم عنه (أ) تعتقدون ان من نظر الى الاسباب السفلية أهدى ممن نظر فى مسبب الاسباب (فمن) أى فهل من (يمشى مكبا على وجهه) بالنظر فى الاسباب (أهدى أمن يمشى سويا) بالنظر الى المسبب مع كونه (على صراط مستقيم) بجعل الاسباب مظاهر أسمائه المؤثرة والله تعالى مؤثر عندها لا بها لكنه يراعى الحكمة فى ترتيب الامور فان ادعوا استقلال الاسباب (قل) لا شك ان جماع الوالدين سبب تكوين الولد لكن يعلم بالضرورة انه لا تأثير له فى انشائه ولا فى اعطائه القوى ومحالها بل الله (هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة) فان نسبتوها الى الافلاك (قليلا ما تشكرون) بتوفية حقه فى التوحيد وانفراده بالتأثير فان زعموا ان للاسباب معه تأثيرا (قل) لوضح ما ذكرتم فلا عمالكم أثر فى الجزاء اذ (هو الذى ذرأكم) أى بثكم ليستعملكم (فى الارض) أعمالا (واليه تحشرون) لجزائكم فالاعمال أسباب فلم تعطلونها (ويقولون) انما نعطلها لانه لا تظهر آثارها فى مدة معلومة (متى هذا الوعد ان كنتم صادقين) وانما لا تظهرونه امثالا يظهر كذبكم اذا لم يقع الحشر عنده (قل انما) لا نعينه لان الله أبهمه لانه ان قرب تعطلت أمور الناس من خوفه وان بعد لم يلتفت اليه فلذلك كان (العلم عند الله) لا عند غيره (و) انما أكون كاذبا لو عجزت عن دلائل وقوعه لكن (انما أنا نذير مبين) بالدلائل القاطعة مع المعجزات المصدقة لى ولو عينت لكم وقته لانتظرتم قربه (فلما رأوه زلفة) أى ذا قرب (سيئت) أى قبحت (وجوه الذين كفروا) بغبرة ترهقها قترة (وقيل) أى قالت الزبانية (هذا الذى كنتم به تدعون) انه لا يكون فان قالوا بل يسى وجوهكم لافترائكم على الله بالنبوة (قل أرأيتم) أى اخبرونى عن تردد كم فى أمرنا مع تيقن أمركم (ان أهلكنى الله

يعرض عن ذكر الرحمن أى يعرض عنه (قوله تعالى يصدون) أى يضجون (قوله تعالى يتدبرون القرآن) يقال تدبرت الامر أى نظرت فى عاقبته

ومن معي أو رحمنا) مع ان الله صدقنا باظهار المعجزات على أيدينا (فمن يجير) أي يمنع (الكافرين) به وبآياته (من عذاب أليم) تحقق لهم فان زعموا ان التردد فيم أمرنا وأمركم (قل) لا وجه للتردد في أمرنا اذ (هو الرحمن) الذي شأنه أن يرحم من لا يكفر به ولا يعصيه (آمنا به وعليه) لا على الاسباب (توكلنا) فلم يعذبنا دونكم فان شككتم بعد هذا فلا يمكن تفهيمكم (فستعلمون من هو في ضلال مبين) هل هو المؤمن به المتوكل عليه أو غيره فان زعموا ان القول بتعطيل الاسباب هو الضلال (قل أرأيتم) أي اخبروني هل ترجعون الى سبب سماوي أو أرضي (ان أصبح ماؤكم غورا) لا تناله آلة (فمن يأتيكم) من الاسباب (بماء معين) سهل المأخذ أم ترجعون في طلبه الى الله تعالى وحده من غير سبب * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

والتدبير هو قيس دبر الكلام بقبله لينظر هل يختلف ثم جعل كل تغير تدبيرا (قوله عز وجل بتركم) ينقصكم ويظلمكم بقال وترني حقي أي ظلمني (قوله

(سورة ن)

سميت بها لدلالتها على مبدا خلق محمد صلى الله عليه وسلم أو مبدا نبوته (بسم الله) المتجلي بكمالاته في محمد صلى الله عليه وسلم (الرحمن) بخلق القلم الاعلى وسائر العقول العالية واللوح المحفوظ وسائر النفوس السماوية (الرحيم) بالانعام على محمد بالنبوة والولاية والهداية العامة والاخلاق الكريمة (ن والقلم وما يسطرون) أي اقسم بالنفس الكلية أي اللوح المحفوظ مبدا الوحي والقلم الاعلى أي العقل الاول من حيث هو مبدأ نبوته في اللوح المحفوظ أو بالنفس الرحماني الذي هو مبدأ روحانيته عليه السلام وبالقلم الاعلى الذي هو روحانيته أو بنور الاحدية الذي هو مبدأ حقيقته عليه السلام وبالقلم الاعلى الذي هو مبدأ وجودها فان الروح أول ما وجد منها أو بنبوته وبالقلم الاعلى الذي هو مبدأ نبوته فان النبوة كانت لروحه أولا ولكله آخرا وبما يسطره العقول من نفوس الكائنات على ألواح النفوس السماوية (ما أنت بنعمة ربك) من النبوة والولاية وسائر المقامات العالية والمنازل الرفيعة (بمجنون) وان كان فيها ما يحير عقول الجمهور كيف (وان لك) هداية كاملة توجب (لأجرا غير ممنون) أي غير منقطع الى يوم القيامة وكيف لا يكون لك تلك الهداية (وانك لعلى خلق عظيم) من اخلاق الله تجذب بها الجمهور الى الهداية فيكون لك أجرهم الى يوم القيامة أو كيف تكون مجنونا والمجنون انما يكون على الاخلاق الرديئة وأنت على مكارمها واذا كانت بك الهداية العامة كنت نورا تبصر به أنت ومن اتبعك وسيظهر لمن خالفك الشيطان ظهورا عقليا (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) أي باي الفريقين من المهتدين بك الملك أو المكذبين لك الشيطان الذي فتن عن الحق أي صرف عنه فصرف الناس عن الهداية وبلغ في ذلك حتى جن من قارنه ولا ظلم في صرفهم عن هذا النور بالاعماء عنه لانه تابع للعلم الالهي التابع لاستعدادات الحقائق المعلومة له في الازل (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) واذا كان لك كمال العقل والهداية (فلا تطع المكذبين) لهدايتك الضرورية المنزهة عن الجنون اذ داعوك لترك التشديد عليهم والطعن في دينهم وآلهتهم طمعا في

رجوعهم الى الهداية لكنهم ليسوا بهذه المظنة اذ غايتهم أنهم (ودوا لو تدهن) أى أحبوا ان تلين لهم (فيدهنون) بترك الطعن عليك لكنه قاطع لدعوتك التى هى سبب هدايتك العامة (و) اذ كانت تلك الاخلاق الكريمة (لا تطع) ذا الاخلاق الذميمة التى هى منشأ الافعال القبيحة (كل حلاف) وهو الوليد بن المغيرة حلف لك اذا تركت التشديد عليه والطعن فيه تأمل فى شأنك فيرجع الى الحق فلا تعتمد على حلفه لانه كثير الحلف لاستهانته بالله من اتصافه بوصف (مهين) اذ شأن العزيز رعاية عزة كل عزيز والمهين لا يترك التشديد عليه والطعن فيه فانه كالعبد يقرع بالعصا كيف وهو متصف بوصف (هماز) أى كثير الغيبة وليس ذلك من شأن الاعزة ويخاف أن يغتابك بالضعف على أنه اتصف بوصف (مشاء بنميم) أى كثير النقل للاحاديث على نهج السعاية فهو أهون ويخاف أن ينم ضعفك الى الناس ليتقووا عليك ومع ذلك متصف بوصف (مناع للخير) فكيف يرجى منه التأمل للرجوع الى الخير بل يزداد منعا للناس عنه عند رؤية ضعفك ولا يقتصر على منع الخير بل يتصف بوصف (معتد) أى مجاوز الحد فى الظلم فيخاف أن يظلمك وأصحابك عند رؤية ضعفك ولا يبعد منه لاتصافه بوصف (أثيم) أى كثير الاثم لاتصافه بوصف (عتل) أى غليظ لا يلين لوعيد الحق فلا يرجى منه التأمل للرجوع الى الحق وهو (بعد ذلك) المذكور من مثالبه متصف بوصف (زنيم) أى دعى ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة وهو منشأ جميع الاخلاق الذميمة ومن أعظم مافيه من الذمائم أنه يكفر فى موضع الشكر وهو انه لاجل (أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا (قال) فى دفعها انها (أساطير الاولين) أى أكاذيبهم التى يسطرونها فقال الله تعالى فى تعجيل جزائه (سنسمه على الخرطوم) أى سنكويه على أنفه فأصابه جراحة يوم بدر فبقى أثرها ومع ذلك لم يزل مستشارا لاهل حتى قحطوا (انا بلوناهم) بالقحط سبع سنين من غير أن يعم سائر البلاد لمشاورتهم هذا الجامع للذمائم سيما منع حق آيات الله (كما بلونا أصحاب الجنة) المسماة ضروان كانت على الطريق بفرسخين من صنعاء لصالح كان ينادى الفقراء وقت الصرام فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا فان المال قليل والعيال كثير وكان مال أبينا كثيرا وعياله قليلا فأصابها البلاء دون ماحولها (اذ أقسموا) على منع حق المساكين بمشاورة مكذبى مضاعفة الصدقة وأرباب الشح المطاع (ليصرمنها مصبحين) أى ليقطعن ثمارها وقت الصباح بحيث لا يعلم مسكين بذلك (ولا يستثنون) أى ولا يخرجون شيأ من حق المساكين (فطاف عليها) أى أحاط بها بلاء (طائف) وهى نار نزلت من السماء (من) أمر (ربك) فاحرقتها غضبا عليهم لحق المساكين فكيف لحقك وحق آياته (وهم نائمون) أى غافلون غفلة أهل مكة عن سبب القحط (فأصبحت) أى فصارت بالاحتراق (كالصريم) كالليل الاسود أو كالرماد (فتنادوا) أى فنادى بعضهم بعضا (مصبحين) أى وقت الصبح اذ لم يكشف لهم عما جرى عليهم بالليل (أن اغدوا) أى اخرجوا غدوة (على حرثكم ان كنتم صارمين) أى قاصدين قطع ثمارها وقد قطعها البلاء من أصلها (فانطلقوا

تعالى ولن يترككم أعمالكم) أى لن ينقصكم شيأ من ثوابكم ويقال وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا أو أخذت له مالا بغير حق وفى الحديث من فاتته صلاة العصر

وهم يتخافتون) أى فشلوا وهم يكتمون ذهابهم جازمين (أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) ولم يمكنهم منع دخول البلاء الالهى كما جزم أهل مكة أن لا يدخل الاسلام أحد فيشاركونهم فى أرزاقهم (وغدوا على حرد) أى سرعة (قادرين) على تحصيل الغلة مسارعة أهل مكة الى منع ظهور النبوة (فلما رأوها قالوا) أول ما رأوها ما هى بها (انا لضالون) طريقها ثم تأملوها فقالوا (بل نحن محرومون) كذلك أهل مكة اذا رأوا القحط قالوا ليس بقحط حقيقى بل انقطاع المطر أيا ما قلا تل فلما استمر عليهم قالوا بل نحن محرومون عن الارزاق (قال أوسطهم) أى أعدلهم رأيا (ألم أقل لكم لولا تسبحون) أى هلا تنزهون الله عن أن يخلف وعد المضاعفة فى الصدقة كما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا تنزهون الله عن أن يشاركه فى آيانه غيره فاذا تبين لهم الغلط اعترفوا بالظلم كما (قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين) وكان ظلمنا بمشاورة أهل السوء (فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا لان منهم من أشار ومنهم من استصوب كذلك اذا تحقق صدق الآيات يوم القيامة يلوم بعضهم بعضا (قالوا) أى الملومون (ياويلنا) تعال الينا (انا كنا طاغين) أى مجاوزين حدود الله بمنع حقوقه طغيان هؤلاء فى حقوق الآيات (عسى ربنا أن يبدلنا) ببركة التوبة (خيرا منها انا الى ربنا راغبون) أى طالبون الخير بانتهاء الرغبة فيه الى الله تعالى قال ابن مسعود بلغنى ان القوم اخلصوا وعلم الله منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا كذلك يرجى لهؤلاء اذا تابوا ان يعطوا خيرا مما ضيع عليهم لاجل القحط (كذلك) أى مثل ابتلاء أهل مكة وأصحاب الجنة (العذاب) أى كل عذاب دنيوى يرجى بعده الخير (و) لا يرجى ذلك فى عذاب الآخرة (لعذاب الآخرة أكبر) والغضب فيه أشد فلا يعقبه خير يعلمون ذلك (لو كانوا يعلمون) الحقائق ولا ينتقض بما يحصل لعصاة المؤمنين من الجنة بعد العذاب لانه ليس بعذاب بالحقيقة بل تطهير لهم لتكميل نعيمهم فى الجنة (ان للمتقين) الكفر (عند ربهم) الذى يزكيهم بالعذاب لمزيد النعيم (جنات النعيم) بالحقيقة (أ) نجعل عذاب المسلمين حقيقيا كعذاب الكفار (فنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) بعدم الفرق بينهما لتبطلوا فائدة المسلمين بل تقولون نحن نؤتى أفضل مما يؤتى المسلمون الكم عليه دليل عقلى (أم لكم كتاب) سماوى (فيه تدرسون) بالنص الجلى (ان لكم فيه لما تخيرون) أى يجدونه خيرا فان كان فهل هو مجرد عن اليمين (أم) مقارن لها بل (لكم أيمان) تغلبون بها (علينا) لا الى مدة منقطعة عن قريب بل (بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون) به علينا فان اعترفوا انه لا دليل لهم عقلى ولا كتاب بل كلام آبائهم (سلهم أيهم بذلك زعيم) أى كفيل فان ذكروه فهل هو عبد من عباد الله يحكمكم على الله (أم) من شركائه اذ (لهم) فى زعمهم (شركاء فليأتوا بشركائهم) لمناقضة الله ومغالبته (ان كانوا صادقين) فان أتوا بهم اليوم فكيف يأتون بهم (يوم يكشف عن ساق) أى عن أصل الامر وحقيقته (و) ان زعموا انهم ليسوا فى معرض المناقضة والمبالغة لانهم مظاهر حتى كان سجودنا لهم سجود لله ونظرنا

(قوله فكأنما وتر أهله وماله) عز وجل يغتب بعضكم بعضا الغيبة أن يقال فى الرجل من خلفه ما فيه واذا استقبل به فتلك المجاهرة واذا قبل ما ليس فيه فذلك البهت

اليهم نظرا الى الله وسطناهم لعجزنا عن سجود المنزه والنظر اليه يقال لهم هذا باطل اذ (يدعون الى السجود) لله (فلا يستطيعون) اذ تصير ظهورهم طبقا واحدا (خاشعة) أى ذليلة (أبصارهم) فلا يستطيعون النظر اليه بل (ترهقهم) أى تغشاهم بكليتهم (ذلة) لانهم أذلوا الله اذ رأوا ظهوره فى شركائهم كماله الحقيقى وهو نقص (وقد) كذبوا فى دعوى عدم قدرتهم على سجود المنزه فانهم (كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون) سلامة المسلمين الذين سجدوا للمنزه وان كذبوا بقضية الكشف عن الساق والدعوة الى السجود (فذرنى) أى خلنى (ومن يكذب بهذا الحديث) فلا تعجل بدعاء المؤاخذة عليهم (سنستدرجهم) أى أجعلهم على درجات المعاصى فآخذهم (من حيث) أى من جهة (لا يعلمون) انها جهة الاخذ (وأملى) أى امهل (لهم) وان عظموا الجرائم مكرا بهم (ان كيدى متين) لا يمكنهم دفعه بكيدهم ايجعلون هذا كيدا منك لا لتحصيل شئ (أم) لتحصيله اذ (تسئلهم أجرا فهم من مغرم) أى من تحمل غرامة بلا عوض (مثقلون) فان كان لك كيد لتحصيل شئ فهل علموه بدليل (أم) بالكشف اذ (عندهم الغيب) فانصح (فهم يكتبون) ما فيه ويستغنون به عنك واذا لم يؤمنوا لك بعد هذا (فاصبر لحكم ربك) بتأخير العذاب عنهم لعلهم يتوبون أو يزدادون اثما (ولا تكن) فى استعجال العذاب عليهم (كصاحب الحوت) يونس بن متى عليه السلام استعجل العذاب على قومه فلم يجب فخرج عنهم من غير اذن ربه فركب السفينة فبكنت الريح فزعم اهلها انه انما يكون لعبد آبق فساهموا فخرج السهم باسم يونس فالقى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت فهو وان كان كاملا الا انه تذال (اذ نادى) بقوله لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (و) كيف لا يكون هذا التذلل من كمالاته مع صدوره منه اذ (هو مكظوم) اى مملوء غيظا والغائظ لا يتذلل لكن مع هذا ما ترتبت على ترك الاولى كادت تسقطه عن كماله بحيث (لولا أن تداركه نعمة من ربه) هى عنايته بابقاء كمالاته (لنبذ بالعراء) اى الارض الخالية عن الاشجار فلا يخلو عن ذلة (وهو مذموم) لا كرامة له لكن تداركته النعمة فنبذ غير مذموم (فاجتباه ربه) للكرامات (فجعله من الصالحين) أهل الكرامات (و) لا يبعد من الله اسقاط أهل الكمال الى مهواة الذم كما لم يبعد من الكفار اسقاطك بعد علمهم بكمالك (ان) اى انه (يكاد الذين كفروا) اى ستروا كمالك (ليزلقونك) اى يرمونك ويزلون قدمك (بأبصارهم) مع علمهم بكمالك (لما سمعوا الذكر) اى الكلام المعجز (و يقولون) لذمك انه ليس بكلام الله بل كلام جنى (انه لمجنون) ولم يعلموا ان كلام المجنون لا يكون له شرف فضلا عن الاعجاز (و) هذا الكلام (ما هو الا ذكر) اى شرف (للعالمين) الجن والانس والملائكة فان كل من تكلم به قيل انه يتكلم بما يعجز عنه الكل فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(قوله عز وجل بلتكم) و بالتكم أى بنقصكم يقال لات يليت وألت يألت لغتان (قوله عز وجل يجعلون) يناموون (قوله عز وجل يصعقون) أى يموتون

(سورة الحاقة)

سميت بها لدلالتها على مزيد تأكيد تحقق يوم القيامة لوقوع حواق الامور وظهور حقائق الاشياء فيها وهذا من اعظم مقاصد القرآن (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى الحاقة (الرحمن) بتعظيم شأنها اللائق لاستعدادها (الرحيم) ببيان نظائر ما يقع فيها (الحاقة) اى الحادثة التى يحق وقوعها لوقوع حواق الامور من الجزاء والحساب والميزان ومعرفة حقائق الاشياء فيها يستفهم عنها تعظيما وتعجيبا فيقال (ما الحاقة) ويجاب عنها بقصور علم الخلائق عن كنهها فيقال (وما أدراك ما الحاقة) ثم يمكن بيانها بنظائر ما يقع بها سابقة من انواع العذاب المختلفة لاختلافه طولا وقصرا وشدة زائدة وغير زائدة مع تخليص من خلص منها فتفصيل ذلك انه (كذبت ثمود وعاد بالقارعة) اى الحادثة التى تقرع الاجسام بالانفطار اقيمت مقام الحاقة لبيان مزيد شدتها (فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية) اى بالصيحة المجاوزة للحد فى الشدة فى مقابلة صيحة الناقة عند الذبح لمجاوزتهم حد التكذيب بمحو الآية بالكلية لكن قصر زمانها (وأما عاد فأهلكوا بريح) لغلبة الاهوية عليهم (صرصر) شديد الصوت (عاتية) شديدة الهبوب لامن الاتصالات الفلكية بل الله (سخرها) اى سلطها بغضبه (عليهم) لا على هود والمؤمنين به (سبع ليال وثمانية أيام) من صبيحة ارتعاء الى غروب ارتعاء لانهم تحملوا الاهوية تهم قحط سبع سنين فطالت عليهم لكل سنة يوما وليلة مع زيادة يوم لانهم لم يقطعوا تحملهم بهذه المدة وانما لم تكن سبع سنين لانها كانت تحسمهم (حسوما) اى تقطع دابرهم قطعا كليا (فترى القوم فيها) اى فى تلك الايام والليالى (صرعى) اى موتى (كانهم أعجاز) اى اصول (نخل خاوية) اى متأكلة الاجواف لان الريح اخرجت احشاءهم (فهل ترى لهم من) نفس (باقية) فوقع على هاتين الفرقتين شدة لكنها غير زائدة ثم اشار الى الزائدة فقال (وجاء فرعون ومن قبله) اى من فى جهته من جنوده (والمؤتفكات) اى اهل قرى لوط (بالخاطئة) اى بالافعال ذوات الخطا كاستعباد بنى اسرائيل وذبح أولادهم واللواط فارسل اليهم الرسول (فعصوا رسول ربهم) فى كل ما جاءهم به (فأخذهم أخذة رابية) اى زائدة على محض تكذيب الرسل بان اعطينا ملك فرعون وقومه لاعدائهم بعد اغراقهم وجعلنا المؤتفكات عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فلم يؤاخذوا بمجرد الخطايا ولم يختلف عذابهم بمجرد تكذيب الرسل بل ضم فى حقهم احدهما الى الآخر لزيادة الشدة وتنوعها يدل على كون ما مر مؤاخذة انجاء نوح والمؤمنين مع عدم خروجهم عن الطوفان الذى اخذ به قومه (انا) لعظم قدرتنا (لما طغى الماء) اى جاوز ماء طوفان نوح حده (حملناكم) اى آباءكم لتخليصهم (فى) السفينة (الجارية) فى ذلك الطوفان جريانا يشبه المشى على الصراط على متن جهنم (لنجعلها لكم تذكرة) تذكرون بها كيفية النجاة عند اهوال يوم القيامة وهذا لمن رآها (وتعيها) اى تحفظ ما تسمع منها لتوصلها الى آخرين (أذن واعية) لمن لم يرها ولما فرغ من ذكر النظائر السابقة اشار الى ما يقع فى القيامة من نظائرها فقال (فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة) هى نظير صيحة ثمود (و) يحصل منها

(قوله يسرنا القرآن للذكر) سهلناه للتلاوة ولولا ذلك ما اطاق العباد ان يلفظوا به ولا أن يسمعوه (قوله تعالى يطمثهن) أى

ريح بها (حملت الارض والجبال فدكتا) اى ضرب بعضها ببعض (دكة واحدة) صارتا بها هباء فالريح كريح عاد والحمل كحمل المؤتفكات (فيومئذ وقعت الواقعة) على العالم بالافناء (و) تبعه العالم العلوى حيث (انشقت السماء) لانها انما خلقت لتكوين الاشياء وافسادها فى العالم السفلى (و) اذ افنى لم يبق لها فائدة ولم يمنع من انشقاقها قوتها التى ابقاها على مر الدهور اذ (هى يومئذ) بتأثير النفخ فيها (واهية) اى ضعيفة وقد تأكد بالنفخة الثانية (والملك) المحرك لها الحركة الدورية المانعة من الانشقاق المتوقف على الحركة المستقيمة قد صار (على أرجائها) فلم يبق له تحريك فامكن بتحريك النفخ لها بالعسر على الاستقامة كيف (و) اثر النفخ كاد يلحق العرش فقوى بزيادة اربعة من الحملة فيه اذ (يحمل عرش ربك فوقهم) اى فوق ملائكة السماء لعجزهم عن حمله (يومئذ ثمانية) وكانوا قبله اربعة (يومئذ) لظهور العرش بزوال الحجب السماوية (تعرضون) وظهر بظهوره اللوح المحفوظ لذلك (لا تخفى) على أحد من أحد (منكم خافية) وعلم بظهوره ما فى كتاب اعماله قبل ان يأخذه (فأما من أوتى كتابه بيمينه) لقوته وغلبته على هواه (فيقول) للملائكة تبجحا (هاؤم) اى خذوا كتابى (اقرؤا كتابيه) فليس فيه ما يحزننى (انى ظننت) اى علمت فى الدنيا علما لا يقدح فيه ما لا يخلو عنه الانسان من خواطر اذ لم يستقر بقلبه (أنى ملاق حسابيه) فحاسبت نفسى قبل ان احاسب (فهو) فى حال قراءة الكتاب مع وفور الشدائد (فى عيشة راضية) اى ذات رضا كأهل سفينة نوح فكانهم قبل دخول الجنة (فى جنة عالية) لكونهم فى اعلى درجات القرب من ربهم (قطوفها) ما يجتنى لهم من ثمرات الجنة فى المحشر (دانية) اى قريبة منهم يقال لهم قبل دخولها (كلوا واشربوا) من الجنة (هنيئا) لا يؤذيه شئ من هذه الشدائد (بما أسلفتم) اى قدمتم من الصيام وغيره (فى الايام الخالية) اى الماضية (وأما من أوتى كتابه بشماله) لضعفه مع الاهوية (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه) فلم افتضح بما فيه (و) ياليتنى (لم أدر ما حسابيه) فلم اعذب بتذكره عذابا عقليا مع الحسى (ياليتها) اى يا قبائحى (كانت القاضية) لى بالعذاب من غير كتاب ولا حساب ومن غير ان أعرض على الله تعالى اذ ليس كسائر الملوك ينفع عندهم المال لذلك (ما أغنى عنى ماليه) وانما ينفع عنده الحجة لكن (هلك عنى سلطانيه) اى حجتى فيقول الله عزوجل لخزنة جهنم ضما للعذاب الحسى الى العقلى (خذوه) بالقهر والشدة (فغلوه) اى ضموا يده الى عنقه اذ لم يشكر ما ملكته مما يمد به يده اليه فيه (ثم الجحيم صلوه) لانه لم يشكر شيأ من لذائذ النعم فاذيقه شدائد النقم (ثم فى سلسلة) اى حلقة منتظمة باخرى وهى بثلثمائة وهلم جرا (ذرعها) اى مقدارها (سبعون ذراعا) بذراع الملك كل ذراع سبعون باعا وكل باع ابعد مما بين مكة والكوفة (فاسلكوه) اى فأدخلوه اى لفوه بها بحيث يكون فيما بين حلقها مرهقا لا يقدر على حركة (انه كان) قائلا بتسلسل الحوادث لكونه (لا يؤمن بالله العظيم) فاستحق لعظيم العذاب كيف وليس معه من الخفيفات شئ اذ لا يتأتى له عبادة بدنية

يمسون والطمث النكاح بالدمية ومنه قيل للحائض طامث (نفاسا) كناية عن الجماع (قوله عزوجل ينقضون) أى ينظروا بكم (قوله عزوجل

وانما

وانما يتصور له عبادة مالية (و) لكن كان (لا يحض على طعام المسكين) اى لا يأمر أهله به واذا كان غضب الله عليه الى هذا الحد (فليس له اليوم) الذى لا تملك فيه نفس لنفس شيأ سيما (ههنا) اى فى المحشر الذى يفر فيه المرء من ابيه واخيه وبنيه (حميم) اى قريب ينفعه قرابته (ولا طعام) لعدم شكره على طعامه وعدم حضه على طعام المسكين (الا من غسلين) غسالة أهل النار وصديدهم وهو من غاية قبحه بحيث (لا يأكله الا الخاطؤن) فى الاصول والفروع جميعا واذا ظهرت لكم هذه التفاصيل مع هذه اللطائف فى هذا الكلام المعجز مع الدلالة على كل مطلوب بقواطع الادلة (فلا أقسم) اى فلا احتاج الى القسم (بما تبصرون) من فوائده ولطائفه (وما لا تبصرون) منها (انه لقول) الله المنزل على (رسول كريم) ليس من شأنه الافتراء على الله (وما هو بقول شاعر) اذ ليس على أوزانهم ولا على طريقهم فى التخييل الفاسد لكن (قليلا ما تؤمنون) بما ظهر صدقه بالضرورة (ولا بقول كاهن) فانه وان اشتبه به على الضعفاء لكنه يزول بادنى تذكر لكن (قليلا ما تذكرون) بل هو معجز مشتمل على ما لا يتناهى من العلوم والفوائد فهو (تنزيل من رب العالمين) نزله لتربية الكل فى الامور الدينية والدنيوية (ولو تقول) اى افترى (علينا) بقوة فصاحته وبلاغته (بعض الاقاويل) مع ظهور أن لا يتأتى الاعجاز للفصحاء والبلغاء فى جميع اقاويلهم (لاخذنا منه) قوة الفصاحة والبلاغة (باليمين) اى بقوتنا (ثم لقطعنا منه الوتين) اى ياطقلبه الذى به يتحرك لسانه فنجعل كلامه ضحكة للناظرين وهزأة للساخرين كترهات مسيلمة وابى العلاء المعرى وغيرهما (فما منكم من أحد عنه) اى عن سلب بلاغته وفصاحته (حاجزين) اى مانعين فانكم وان اعتنوه حينئذ لم يتأت منه كلام بليغ فضلا عن المعجز وذلك لانه يفضى الى تلبيس لا يمكن رفعه وهو مناف للحكمة وكيف يكون افتراء (وانه لتذكرة للمتقين) فانهم بتصفيتهم للبواطن يتذكرون بها علوما تفيدهم فى الدارين من غير انتهاء لها ولا شئ من المفترى كذلك (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) للتصفية والتذكر بها (وانه) اى تكذيب ذلك (لحسرة على الكافرين وانه) اى تحسرهم وان أنكروه (لحق اليقين) يشاهده أهل الكشف بالتصفية الحاصلة بذكر الله (فسبح باسم ربك العظيم) لتكميل تلك التصفية فيكمل يقينك * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المعارج)

سميت بها لدلالتها على غاية رفعة الله تعالى بحيث لا تتناهى درجات الصعود اليه وان صاعديها لا يقدرون على دفع ارادته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى معارجه فظهر لمن صعدها واحتجب عمن لم يصعدها (الرحمن) باصعاد أوليائه وابعاد اعدائهم (الرحيم) باسعادهم ليتوبوا فيصعدوا (سأل سائل) هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة الآية أو ابو جهل فأسقط علينا كسفا من السماء الآية اى دعا داع ذكره بطريق

(يسطرون) أى يكتبون (باليمين) فى قوله لأخذنا منه بيمينه وقيل معناه لأخذنا بيمينه فمعناه من التصرف والله

المطابقة بعد مافهم التزاما ففيه ايهام الجمع بين المتقابلين ثم ان فيه ابهاما من حيث هو اسم جنس وتنكيرا ففيه ايهام الجمع بين المثلين وتنكيره لتفخيم امره فى الكفر والعناد والاستهزاء وتحقيره فى العقل والبصيرة ففيه ايهام الجمع بين الضدين ولم يذكر المسؤل لانه لما لم يحتمله اسقطه من الاعتبار فاشير اليه باسقاطه من اللفظ (بعذاب) اى المؤاخذة به وتنكيره للتعظيم مع الاستهزاء الموجب للتحقير وهو طلب الحاصل لانه طلب (واقع للكافرين) والسائل كافر ولا يحتمل اللاوقوع فيطلب الجزم به اذ (ليس له دافع) لصدوره (من الله) الذى لا دافع لارادته لاتصافه بوصف (ذى المعارج) اى الدرجات الغير المتناهية وليس للادنى دفع ارادة الاعلى بدرجات متناهية فكيف لغير المتناهية وانما كانت درجاته غير متناهية لانه (تعرج الملائكة والروح) اى جبرئيل أو خلق اعظم من الملائكة (اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة) مع انهم ينزلون من السماء الى الارض ويعرجون منها الى السماء فى لحظة واحدة فذلك من تفاهى الدرجات وانما جعله يوما لانهم من افراط شوقهم يستقصرون هذه المدة ومع هذا الصعود ليس لهم شفاعة الكفار لعظم جرمهم (فاصبر) على استهزائهم (صبرا جميلا) لا يشوبه استعجال ولا اضطراب قلب وانما أمر نالا بالصبر مع استعجالهم لانه من استبعادهم (انهم يرونه بعيدا و) أمر نالا بالصبر لانا (نراه قريبا) لانه يكون عند انقراض ايام الدنيا وهو قريب فيكون (يوم تكون السماء) من ارتفاع لهب النار (كالمهل) كالفضة الذائبة (وتكون الجبال) من غلبة الريح المصعدة لها عن النفخ فى الصور (كالعهن) اى الصوف المصبوغ الوانا لان فيها حمرا وبيضا وسودا فاذا بست وطيرتها الريح يرث كذلك (و) بالجملة تكون شدة ذلك اليوم بحيث (لا يسئل حميم) اى قريب (حميما) عن حاله مع انهم (يبصرونهم) احوالهم ليرقوا لهم لكن لا يسألون لهم بل (يود المجرم) اى يتمنى الكافر (لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه) الذين هم محل شفقته (وصاحبته) التى هى احب اليه (واخيه) الذى يستعين به فى النوائب (وفصيلته) اى اقاربه (التى تؤويه) عند الشدائد (ومن فى الارض) من الثقلين (جميعا ثم ينجيه) اى نفسه من عذابه (كلا) ردع عن ذلك التمنى (انها) اى النار التى جعلت السماء كالمهل (لظى) اى لهب خالص من غضب الله على اعدائه (نزاعة للشوى) اى الاطراف أو جلدة الرأس (تدعوا) اى بجذب الى نفسها (من ادبر) عن الايمان بالله (وتولى) عن طاعته (وجمع) المال ايثارا له على الله (فأوعى) اى جعله فى وعاء منعا لصرفه فى حقوقه من قلة صبره وشدة حرصه (ان الانسان خلق هلوعا) قليل الصبر شديد الحرص (اذا مسه الشر) الذى هو كالملازم للايمان بالله وطاعته يكون (جزوعا) من قلة صبره فيدبر ويتولى (واذا مسه الخير) يكون من شدة حرصه (منوعا) لخروجه عنه فيجمع ويوعى (الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون) لا يشغلهم عنها جزع ولا منع بل تدفعهما (والذين فى أموالهم حق معلوم) هو الزكاة والفطرة حاصل (للسائل) عن الناس (والمحروم) المتعفف الذى يحرمونه فانهم ليسوا جازعين

أعلم (يحمومٍ) هو الدخان وكل أسود يحموم (قوله عزوجل يفجر امامه) قيل يكثر الذنوب ويؤخر التوبة وقيل يقضى الخطيئة ويقول سوف اتوب سوف اتوب

على خروج المال ولا مانعين للخير لكنهم دون المصلين لانهما ربما يشغلانهم وان لم يؤثرا فيهم (والذين يصدقون بيوم الدين) اى الجزاء فانهم لا يجزعون بالشر ولا يمنعون الخير لعلمهم بجزاء البليات والصدقة لكنهم دون المصلين والمزكين لانهما كثيرا ما يشغلانهم لكن يرجون عليهم بمقتضى علمهم بالجزاء (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) اى خائفون فيخافون من عقاب الجزع ومنع الخير بل (ان عذاب ربهم) مع الصبر وايتاء الخير أيضا (غير مأمون) اخره عن التصديق بالجزاء لان داعيه حب وداعيه خوف والعمل مع الحب اولى (والذين هم لفروجهم حافظون) فانهم صابرون (الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم) بترك الصبر عليه (غير ملومين) حتى يعدوا من اهل الجزع (فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) اى المجاوزون حد العفة فلا يكونون صابرين اذا اتوا أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم أيضا فهذا متعلق بعدم الجزع فقط (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) فانهم ليسوا مانعين للخير واخره عن الاول لان الصبر اشد ولذا قدم قوله اذا مسه الشر جزوعا وعدم الجزع والمنع فيما ذكر محقق ثم أشار الى ما يتوهم فيه عدم الجزع فقال (والذين هم بشهاداتهم قائمون) اى حافظون فانهم يعزمون على الصبر لواذاهم المشهود عليه وهذا كله فيما يقارن العمل ثم أشار الى ما يتأخر عنه فقال (والذين هم على صلوتهم) بعد الفراغ منها (يحافظون) فيصبرون عن الرياء والعجب (أولئك) المتزكون عن رذيلتي الجزع والبخل (فى جنات مكرمون) لاتصافهم بمكارم الاخلاق واذا فعل ما للكافرين اولى الاخلاق الذميمة والمؤمنين اولى المكارم (فما) اى اى حالة حصلت (للذين كفروا) حال كونهم (قبلك مهطعين) اى نحوك متطلعين تطلع المتأمل مع كونهم (عن اليمين وعن الشمال عزين) اى متفرقين تفرق المعرض كانهم يريدون التأمل فيخافون لزوم الحجة فيعرضون (أيطمع كل امرئ منهم) بترك التأمل لئلا تلزمه الحجة فيدخل النار (أن يدخل جنة نعيم كلا) ردع عن هذا الطمع (انا خلقناهم مما يعلمون) ليتأملوا فى مبدئهم ومنتهاهم فيعلموا بمقتضاه فيفوزوا والا خابوا وقد وجب التأمل اذ بعثت للامر به فاذا لم يتاملوا (فلا أقسم) اى فلا حاجة الى القسم (برب المشارق والمغارب) المستبدل طلوع كوكب بغروب ما يقابله وغروب كوكب بطلوع ما يقابله ومستبدل الظلمة بالنور والنور بالظلمة (انا لقادرون على أن نبدل) لصحبتك ليتاملوا فيما امرناهم (خيرا منهم) كالانصار (و) لا تعارض فى قدرتنا اذ (ما نحن بمسبوقين) اى مغلوبين واذا وجب عليهم التأمل وهم يخوضون ويلعبون (فذرهم يخوضوا) فى الباطل (ويلعبوا) بالآيات (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) للجزاء يجيبون فيه داعى الله وان لم يجيبوه اليوم فانهم (يوم يخرجون من الاجداث) اى القبور يسرعون الى الداعى (سراعا كانهم الى نصب) اى صنم نصب للعبادة (يوفضون) اى يستبقون لاستلامه طمعا فى ان يكون فى حق السابق ارحم منه فى حق غيره لكنهم من غضب الله عليهم لعدم اجابتهم داعيه فى الدنيا يكونون (خاشعة) اى ذليلة (أبصارهم) بحيث لا يمكنهم النظر اليه بل

(قوله يتخطى) أى يتبختر يقال جاء يمشى المطيطياء وهى مشية يتبختر فيها وهو ان يلقى يديه ويتكفأ وكان الاصل يتخطط فقلبت احدى الطاءين ياء كما قيل يتظنى

(ترهقهم) اى تغشى جميع اجزائهم (ذلة) لاذلالهم داعيه فى الدنيا (ذلك اليوم) هو (الذى كانوا يوعدون) لارهاقهم الذلة على اذلالهم داعى الله فافهم * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة نوح عليه السلام)

سميت به لاشتمالها على تفاصيل دعوته وادعيته (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نوح عليه السلام (الرحمن) بالانذار والامر بالعبادة والتقوى واطاعة الرسول فى الاحكام الفرعية (الرحيم) بوعد المغفرة والتأخير ان عبد الله واتقاه واطاع رسوله (انا) باعتبار مقام جمعيتنا بين الجلال والجمال للخروج من حجب الاول الى نور الثانى (ارسلنا نوحا) الجامع للمعارف المطلع على كيفية الخروج من الحجب الى الانوار (الى قومه) الذين هم محل شفقته ليخرجهم من حجب الجلال الى نور الجمال بالتعريف عن الاول (أن انذر قومك) الذين عرفوا نصيحتك وصدقوك عن الحجب الجلالية (من قبل أن يأتيهم عذاب أليم) لو لم يخرجوا عنها (قال ياقوم) الذين شأنهم ان يخافوا اما خاف منه و يقبلوا نصيحتى لما عرفوا من صدقى (انى لكم نذير) عن البقاء فى الحجاب (مبين) لما يترتب عليه من العذاب ولا يصعب عليكم الخروج عنه فغاية ما علىكم فى ذلك (أن اعبدوا الله) فان عبادتكم اياه تخرجكم من حجب جلاله الى نور جماله (واتقوه) ان تعبدوا غيره على اعتقاد انه المظهر الكامل له فتعتقدوا النقص فى كماله فيغضب عليكم فوق ما يغضب لو اتيتم بالمعاصى الفرعية (واطيعون) فيما آتيكم منه من الاحكام الفرعية لتحترزوا عن المعاصى الفرعية وانما كانت رافعة للحجب لانكم ان فعلتموها (يغفر لكم) طائفة (من ذنوبكم) التى هى اسباب البقاء فى الحجب فرفعها رفع الحجاب وهى تركيكم فيما مضى من عبادة الله وتقواه ومخالفتكم احكامه لا ما اكتسبتم بعد الاسلام ولا ما كان من حقوق الخلق (و) لم يؤاخذكم بهذه أيضا فى الدنيا بل (يؤخركم الى أجل مسمى) فى حق كل واحد لموته ولا تأخير له لانه اجل الله (ان أجل الله) بالموت فى حق كل واحد (اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) انه لابد لكل واحد من الموت على اجله لكنه قد يتقدم عليه اذا كان المسمى معلقا بأمر لم يتحقق فيتحقق ما علق بضده عند تحققه فيصير هو أجل الله الذى لا يؤخر و بالجملة فالاجل فى حق كل واحد معين عند الله لو كان مجزوما وكذا لو كان معلقا الجزم بوقوع احد المعلقين فى علمه عز وجل فلما عجز عن اخراجهم عن الحجاب (قال رب) اى يا من ربانى بالاطلاع على كيفية الاخراج عن الحجاب الى الانوار (انى) أطلعت قومى على ما أطلعتنى على أكمل الوجوه لانى (دعوت قومى ليلا) بالادلة الخطابية (ونهارا) بالبراهين القاطعة على ضرر الحجاب واستعقابه للعقاب ونفع العبادة والتقوى واقامة الاحكام المفيدة انوار الجمال (فلم يزدهم دعائى الا فرارا) من المدعو (وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم) معاصى تحجبهم فتدعوهم الى الفرار (جعلوا أصابعهم فى آذانهم) لئلا تبلغهم الدعوة المانعة عن الفرار (واستغشوا ثيابهم) لئلا يروا الداعى حال دعوته (وأصروا)

واصله ينطق وقيل يتطى يثبت ويعد خطاه فى مشيته وقيل يلوى مطاه تبخترا والمطا الظهر (قوله عز وجل أن لن يجور) لن يرجع أن لن يموت (قوله عز وجل)

على المعاصى الحاجبة (واستكبروا) على المعذب بها (استكبارا ثم) اى بعد هذا الاصرار والاستكبار وجعل الاصابع فى الآذان واستغشاء الثياب (انى دعوتهم جهارا) بطريق المكاشفة الرافعة للاصرار والاستكبار (ثم) لما انكروا طريق المكاشفة (انى) جمعت لهم بين الدلائل العقلية والكشفية اذ (أعلنت لهم) بالدلائل الكشفية (وأسررت لهم) بالدلائل العقلية (اسرارا) اذ ضمنتها دلائل الكشف التى بها تتم الحجج وترفع الشبه فلما لم ينفعهم هذا كله ابتلوا بالقحط والعقم وذهاب البساتين والانهار (فقلت استغفروا ربكم) هذه المعاصى التى حجبتكم عن الفوائد الدنيوية لعله يرفع عنكم الحجب بالكلية (انه كان غفارا) فان لم يرفعها بالكلية رفعها عما استغفرتم لاجله (يرسل السماء) اى السحاب (عليكم مدرارا) كثير الدر (ويمددكم بأموال) بتكثير الزرع وغيره (وبنين) بادرار الماء عليكم (ويجعل لكم جنات) بتفجير ماء الارض (ويجعل لكم أنهارا) بتكثير ماء الارض بانفرادها أو مع ماء السماء فيخبر بكم عن الحجب الموجبة للقحط والعقم وذهاب البساتين والانهار فان رضيتم البقاء فى حجب الجلال فمقتضاه تعظيم الله فحينئذ (مالكم) تتكبرون على الله اذ (لا ترجون) اى لا تعتقدون اعتقادا راجحا كاعتقاد الراجى (لله وقارا) اى عظمة (وقد) ظهرت فيكم بعد ظهورها فى خلق العالم اذ (خلقكم أطوارا) اى تارات عناصر ثم مركبات غذاء ثم دما ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما فان انكرتم عظمته فى العالم قيل لكم (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا) بعضها فوق بعض اظهار الدرجات رفعته (وجعل القمر فيهن نورا) ليكون دليلا على تنور العالم مما تنور من نوره (وجعل الشمس سراجا) اضاءت الكل ليدل على انه المنور للعالم والعالم متنور به اظهر بذلك عظمة نوره (و) كيف تتكبرون على الله مع انه الذى رفعكم من مكان المهانة اذ (الله أنبتكم من الارض) التى هى اهون الاشياء (نباتا) ليرفعكم (ثم يعيدكم فيها) لتعودوا (ويخرجكم) للسؤال عن التكبر عليه وسائر معاصيه (اخراجا) للجزاء (و) كيف تتكرون اختلاف احوال المحجبين بالجلال والمتنورين بالجمال بكون الكل على بساط واحد من اشراق نور الوجود وقد دل الله عز وجل على اختلافها بعد الجمع اذ (الله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا) اى واسعة فكذلك سبل الجلال والجمال سبل واسعة الى النار والجنة وان جمع اشراق نور الوجود الكل بساطاله (قال نوح رب) اى يا من ربانى بكمال الدعوة (انهم) بعد هذه المبالغة فى الدعوة (عصونى) بالاصرار والاستكبار (و) لم يكن عصيانهم لاتباعهم من هو خير منى بل (اتبعوا من) توهموا خيريته بكثرة المال والاولاد ولم يعلموا ان خيريتهما اذا اكتسب بهما الآخرة وهؤلاء انما اتبعوا من (لم يزده ماله وولده الا خسارا) للامور الاخروية (و) لم يكن اتباعهم اياهم لنصحهم بل لمكرهم فانهم (مكروا مكرا كبارا) لبسوا به الامر عليهم غاية التلبيس (و) من جملته أنهم (قالوا) ان اردتم عبادة الله (لا تذرن) عبادة مظاهره التى ظهر فيها بالالهية فكانت (آلهتكم) والالهية انما تكون لوجوب الوجود بالذات ولا يتصور فى الحوادث وانما تظهر

يدع اليتيم) أى يدفعه عن حقه

(باب الياء المضمومة)

(قوله عز اسمه يؤمنون بالغيب) أى يصدقون باخبار الله عن الجنة والنار والحساب والقيامة واشباه

بالوجود وهو عام لا يوجب للبعض أن يكون معبودا للبعض الآخر (ولا تذرن) على الخصوص صور رجال صالحين تم لهم التجلي الالهي وصورهم في حكمهم فلا تذرن (ودا) فانه مظهر محبته الذاتية التي هي مبدأ ظهوره في العالم (ولا سواعا) فانه مظهر ثباته لانه بمعنى السكون (ولا يغوث) فانه مظهر غوثه للمضطرين (ويعوق) فانه مظهر منعه (ونسرا) فانه مظهر قوته ولما تقارنا في المظهرية كانتا في معنى الواحد فلم تكرر لا فيما بينهما ولمزيد الاهتمام بالاول كررلا تذرن فيه (و) يدل على مكرهم في ذلك ان عبادتهم لو كانت عبادة الله لكانت موصلة لهم اليه مفيدة للهداية لكنهم (قد أضلوا كثيرا) من العابدين عن الله اذ شغلتهم بانفسهم (و) اذا لم تقع عبادتهم الله فهم ظالمون بوضع ما يختص بالله باعتبار ذاته بمظاهره الجزئية (لا تزد الظالمين الا ضلالا) اذ لو افادت أحدهم هداية لكانت داعية للكل الى عبادتها وترك عبادة الله باعتبار ذاته ولما ذكر نوح عليه السلام عصيانهم بعد دعوته البليغة اشار عز وجل الى ان عصيانهم كان مغرقهم في بحر المخالفة لذلك (مما خطيآتهم) أي من أجل بعض خطيآتهم التي لا يالون لها وهي مغرقة لهم في بحر المخالفة (اغرقوا) في بحر الطوفان للمعاقبة الدنيوية (فادخلوا نارا) للمعاقبة البرزخية (فلم يجدوا لهم) أي آلهتهم التي عبدوها (من دون الله) فلم تقع عبادتهم لله (انصارا) ولو وقعت عبادتهم لله لكانوا انصارا بالشفاعة عنده وكيف يكونون انصاره (و) قد (قال نوح) الذي هو أكمل المظاهر (رب) يا من ربانى بكمال المظهرية ولم اصر بها الها فمن اتخذ من دونى من المظاهر الها فهو كافر بك وهو اعظم ظلما من نقل عبادتك الى غيره (لا تذر على الارض من الكافرين ديارا) يسكن دارا وكيف تتركهم مع انه مبطل لحكمة ايجادك العالم (انك ان تذرهم يضلوا عبادك) عن عبادتك بعبادة من دونك ما بقوا (ولا يلدوا الا فاجرا) أي مظهرا للباطل (كفارا) ستارا للحق ولما دعا على الكفرة بالمؤاخذة الكلية خاف على نفسه ان يؤاخذ بترك الاولى وعلى المؤمنين ان يؤاخذوا بالمعاصي الفرعية فقال (رب اغفر لى) ما يكون معاصى بالنسبة الى ما هو ترك الاولى (و) اغفر (لوالدى) معاصيهما وهما الملك بن متوشلخ وشمخا بنت انوش وكانا مؤمنين فدعا لهما ليكمل برهما (ولمن دخل بيتى) أي سفينتى (مؤمنا) لئلا يغرقها الله بمعصية احدهم (وللمؤمنين والمؤمنات) الى يوم القيامة كيلا تؤثر معاصيهم في المستقبل في اغراقهم بآثامهم (ولا تزد الظالمين) بعد اغراقهم وادخالهم النار (الا تبارا) أي هلاكا بزيادة العذاب لانه لو لم تزد عليهم لاعتادوا بما يألفونه فلا يجدونه عذابا وكان ذلك في معنى المغفرة لهم فيشارك كون المؤمنين في نوع من المغفرة * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله اجمعين

ذلك (قوله عز وجل يقيمون الصلاة) اقامتها ان يوفى بجميع حقوقها كما فرض الله عز وجل يقال قام بالامر وأقام الامر اذا جاء به معطى حقوقه (قوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون) أي يزكون ويتصدقون

* (سورة الجن) *

سميت بها لاشتمالها على تفاصيل أقوالهم في تحسين الايمان وتقبيح الكفر مع كون أقوالهم أشد تاثيرا في قلوب العامة لتعظيمهم اياهم (بسم الله) المتجلي بكمالاته في وحيه (الرحمن) باسماعه الجن والانس (الرحيم) باطلاع من اطلع منهم على محاسن الايمان وقبائح الكفر وعلى عجائب

القرآن وانطاقهم بذلك (قل) لمن يقول انما كان القرآن معجزا البشر لكونه كلام الجن انهم اعترفوا باعجاز القرآن لا بطريق الخبر منهم حتى يكون محتملا للصدق والكذب بل بطريق الوحى الالهى فانه (أوحى الى أنه) انهم اعترفوا باعجازه حين (استمع نفر من الجن) فرجعوا الى اصحابهم (فقالوا انا سمعنا قرآنا) أى كتابا جامعا للحقائق الالهية والكونية والاحكام والمواعظ وجميع ما يحتاج اليه فى أمر الدارين (عجبا) غريبا لا تناسبه عبارات الخلق ولا يدخل تحت قدرتهم ومع ذلك (يهدى الى الرشد) الذى هو اعلى مراتب التحقيق فعلنا انه لا يكون الا من الله لتصديق رسوله (فآمنا به) اذ لولم نؤمن به لزمنا الاشراك بالله فى انزال المعجز (و) لكن (ان نشرك بربنا أحدا و) كيف نشرك به مع أن الاله يجب ان يكون له اعلى مراتب العظمة على الاطلاق (أنه تعالى جد) أى عظمة (ربنا) أن يشارك فيها أو يكون من يقاربه فى العظمة لذلك (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا و) انما كنا نقول بالصاحبة والولد والشريك اتباعا لابليس على سفاهته (أنه كان يقول سفيهنا) ابليس (على الله شططا) ما يبعد عن شأنه (و) لكن ما عرفنا ذلك (انا ظننا أن) أى انه (لن تقول الانس والجن) مجترئين (على الله كذبا) اذ لا يجترأ على ذى جاه من الخلق فكيف يجترأ على الله (و) لكنهم اجترؤا من الكبر الحاصل لهم من قول الانس (انه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) يقولون اذا أمسوا بقفر نعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه (فزادوهم رهقا) أى طغيانا على الله (و) انما اجترؤا لظنهم ان لا بعث (أنهم) أى الجن (ظنوا كما ظننتم) أيها الانس (أن) أى انه (لن يبعث الله أحدا و) قالوا انا سمعنا هذا القرآن حين منعنا من أخبار السماء (أنا لمسنا السماء) أى قصدنا الوصول اليها كأنا نريد لمسها (فوجدناها ملئت) ملائكة تحرسنا من الوصول اليها (حرسا شديدا) أى قويا لا يمكننا مقاومته (وشهبا) بايديهم يرمونا بها (و) انما قصدنا الوصول اليه الاستماع كلامهم (أنا كنا نقعد منها) أى من السماء (مقاعد) كثيرة (للسمع) أى سمع كلام الملائكة باخبار ما يحدث فى الارض لنخبر بها الكهنة وكانت خالية عن الحرس والشهب (فمن يستمع الآن) بعد نزول القرآن (يجد له شهابا) يرصده (رصدا وانا لا ندرى أشر اريد بمن فى الارض) لمنعهم أخبار ما يحدث فيها (أم أراد بهم ربهم رشدا) أى خيرا فمنع الشياطين أن يخلطوا اكاذيبهم (و) الظاهر ارادة الرشد (أنا منا الصالحون) لا يضمون الى ما سمعوا شيأ من الاكاذيب (ومنا دون ذلك) يضمون الى ما سمعوا اكاذيب فيخلطون الصدق والكذب وهو خلط الصلاح بالفساد ولا تتفق اكاذيب واحد باكاذيب الآخر فيلزم الاختلاف اذ (كنا طرائق قددا) أى متفرقة فلا يتفق الا كاذيب أيضا فمنعت جميع تلك الطرق الا طريق الصدق المحض وهو الوحى (وأنا) عند غلبة الظن ارادة الرشد باهل الارض (ظننا) أنا لو بقينا على ما نحن عليه لا يعدان يعجزنا (أن) أى انه (لن نعجز الله) مع انحصارنا (فى الارض ولن نعجزه) اذا هربنا من ظهرها الى بطنها (هربا وأنا) ظننا انه انما يمنا الا من لا يؤمن بالهدى بعد سماعه لذلك (لما سمعنا الهدى آمنا به) لنأمن (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا) أى نقصا لحقه (ولا رهقا) أى ذلة فضلا عن الاهلاك (و) مع هذا

(قوله تعالى يخادعون الله) بمعنى يخدعون أى يظهرون خلاف ما فى قلوبهم وقيل يخادعون أى يظهرون الايمان بالله ورسوله ويضمرون خلاف

لم يؤمن الكل بل (أنا منا المسلمون) أي المنقادون للحق (ومنا القاسطون) أي الجائرون عنه (فمن اسلم فاولئك تحروا) أي اجتهدوا فصادفوا (رشدا) ففازوا بخير الدارين (وأما القاسطون) فهم لو فازوا بخير الدنيا خسروا الآخرة (فكانوا لجهنم حطبا) أي وقودا (و) لا يعد تعذيبهم بالنار فانه كتنعيمهم بالماء ولاشك (أن) أي أن الشأن (لو استقاموا على الطريقة) المرضية (لاسقيناهم) تنعيما لهم في الدارين (ماء غدقا) أي كثيرا وانما جعلنا ذلك تنعيمهم (لنفتنهم) أي نختبرهم هل ينظرون (فيه) فيقيسون عليه التعذيب في النار أم لا (و) لاشك ان (من يعرض عن ذكر ربه يسلكه) أي يدخله (عذابا) يعلوه (صعدا) سواء كان بالنار أو بغيرها (و) من الاعراض عنه دعوة غيره سيما في المساجد لما أوحى الى (أن المساجد لله) أي مبنية لعبادته (فلا تدعوا) فيها (مع الله احدا) لئلا تجعلوها مشتركا بعد ما بنيت مختصا (و) انما شركوا لتعجبهم من عبادة الله وحده حتى أوحى الى (أنه لما قام) رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو (عبد الله) بحيث لا يتصور فيه مشاركة غيره اذ بعثه داعيا الى توحيده (يدعوه) في المسجد الحرام الذي لم يبن اذ ذاك الا له (كادوا) أي المشركون (يكونون) من تعجبهم (عليه لبدا) متراكمين كلبدة الاسد ولم يكن يشتر بهم لاشتغالهم بالله فلما أوحى اليه (قال) لا عجب في ذلك (انما أدعو ربي) الذي أرسلني داعيا الى توحيده (ولا أشرك به أحدا) على خلاف ما أرسلت به فان قالوا هل تملك انما بهذه الدعوة شيأ (قل اني) وان بلغت من قربه بهذه الدعوة ما بلغت (لا أملك لكم ضرا) هو تعجيل العذاب (ولا رشدا) يدفعه فان قالوا فما فائدة عبادتك له (قل اني) لو عبدت غيره (لن يجيرني) أي يمنعني (من) عذاب (الله أحد) عبدته أو تبعته في عبادة الغير (و) كيف اعبد غيره وانا منجذب اليه بحيث (لن أجد من دونه ملتحدا) أي ملجأ (الا بلاغا) أي تبليغا للفيض (من الله ورسالاته) فاني أجدهما ملجأ من دونه لكونهما في حكمه (و) اذا كنت في حكمه حال الانجذاب اليه وغيره كان عصياني كعصيانه (من يعص الله ورسوله فان له نار جهنم) وهم وان كثروا يكونون (خالدين فيها أبدا) لكن لا يبالون له اعتمادا على كثرتهم وشفاعة أصنامهم فلا يزالون على ذلك (حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا) الاصنام أو الرسل (وأقل عددا) الكفار أو المسلمون فالمسلمون وان قلوا فانهم لكمال قوتهم أكثر عددا والكفار وان كثروا فهم لغاية ضعفهم أقل عددا فان قالوا لو عرفت ذلك لعرفت وقته (قل ان) أي ما (أدري اقريب ما توعدون) استحالا للجزاء بعد استحقاقه (أم) بعيد اذ (يجعل له ربي أمدا) أي مدة تكثيرا له أو لاهله ولا يعد علي ان أجهل بعض الاشياء بما أعلمه من وجه فلست عالم الغيب بل الله على الخصوص (عالم الغيب فلا يظهر) أي لا يطلع (على) شئ من (غيبه احدا) يرفع التلبيس عنه من كل وجه (الا) خواصه (من ارتضى من رسول فانه) يطلعه على الغيب مأمونا عن التلبيسات اذ (يسلك) في ايصال غيبه اليه ملائكة (من بين يديه ومن خلفه رصدا) يحرسه من تلبيسات الشيطان والولي اذا أطلع على الغيب فلا يأمن من هذه التلبيسات بهذا الطريق بل بعلامات أخر وكثيرا ما يحتاج الى شواهد الكتاب او السنة وانما فعلنا باطلاعه

ما يظهرون فالمداع منهم يقع بالاحتيال والمكر والخداع من الله عز وجل يقع بان يظهر لهم من الاحسان ويجعل لهم من النعيم في الدنيا خلاف

ذلك (ليعلم) الرسول (أن) اى ان الشأن (قد أبلغوا) أى الملك الحامل الغيب والمترصدون معه (رسالات ربهم) من غير تغيير شئ منها من جهة الشيطان (و) لا يتصور من جهتهم لانه تعالى (أحاط بما لديهم) من الطبائع والاخلاق كيف (و) قد (أحصى كل شئ عددا) فيحيط بعدد طبائعهم واخلاقهم ولكن الرسل لا يطلعون على جميع الغيوب ليبقى الاختصاص الالهى بحاله فافهم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المزمل)

سميت به لدلالته على عظم أمر الوحى لان أقوى الخلائق كان يرتعد عنده فيتزمل (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى المزمل حتى ارتعد لها فتزمل (الرحمن) بأمره بقيام الليل على أجزاء مختلفة (الرحيم) بالامر بترتيل القرآن (يا أيها المزمل) خوطب به اشارة الى عظم ما حمل عليه وانه لا يخف الا بقوة الجذب الى الله تعالى وذلك بقيام الليل (قم الليل الا قليلا نصفه) أى قم نصف الليل الا قليلا يقرب به الى الثلث ذكر الليل أولا ليعلم ان الاصل قيام كله ثم لما استثنى توهم أنه استثناء منه فدل على انه لا يضر نقص القليل ثم لما ذكر النصف علم انه يقوم مقام الكل وان نقص منه القليل ثم قال (أو انقص منه قليلا) أى أو انقص من القليل المستثنى قليلا ليقارب النصف فانه أولى لقيامه مقام النصف القائم مقام الكل (أو زد عليه) أى على النصف بحيث يقارب الثلثين فهو وان نقص عن الكل فهو فى حكم الزائد على الكل ثم أمر بما ينشطه فقال (ورتل القرآن) أى بين حروفه بحيث يتمكن السامع من عدها (ترتيلا) يمكن التأمل فيها لظهر بذلك عظمته التى لاجلها تثقل الاحاطة بما فيه (انا سنلقى عليك) بالتأمل فى القرآن بعد الوحى (قولا ثقيلا) أى عظيما يثقل عليك الاحاطة بجانبه وتخصيصه بالليل لشدة تأثير القراءة فيه (ان ناشئة الليل) أى القراءة التى تنشأ بالليل (هى أشد وطأ) أى تأثيرا فى مواطأة القلب اللسان (وأقوم قيلا) أى أقوى الاقوال رسوخا فى القلب ولا يتحقق ذلك بالنهار لكثرة اشتغاله (ان لك فى النهار سبحا) أى تقلبا (طويلا) فى المهمات الشاغلة للقلب فلا يتم فيه المواطاة والقوام (و) النهار وان كان فيه سبح طويل فلا ينبغى ان يعطل بل (اذكر اسم ربك و) لا تشغلنك مهماتك عنه بل (تبتل) أى انقطع عنها (اليه) واقطعها (تبتيلا) وان لم تنقطع عنها فانظر الى الله تعالى فيها فانه (رب المشرق والمغرب) فله الظهور فى الاشياء مع البطون عنها اذ لا وجود لها بدون ذلك لانه (لا اله الا هو) فلو لم يظهر فيها أصلا لم توجد ولو ظهر بكليته لم توجد أيضا كما ان الظل بالشمس ولا ظل مع الشمس فلو لم يمكنك النظر اليه فى مهماتك (فاتخذه وكيلا) ليحصلها لك فانه أقدر على تحصيلها واعلم بالصالح منك (و) اذا تبتلت الى الله تعالى (اصبر على ما يقولون) من نسبتك الى الجنون (و) ان لم يتأت لك الصبر مع اختلاطهم (اهجرهم) أى جانبهم (هجرا جميلا) لا حزن معه ولا غش ولا جزع (و) ان كذبوك فى كفاية الله من انقطع اليه أو توكل عليه (ذرنى والمكذبين) لا تكلهم نسبة النعم الى مع كونهم (أولى النعمة) لكن ينسبونها الى أكسابهم

ما يغيب عنهم ويستر من عذاب الآخرة لهم جزاء لفعلهم فجمع الفعلان لتشابههما من هذه الجهة وقيل معنى الخدع فى كلام

ويكفرون بالمنعم الحقيقي (و) مع ذلك لا تستعجل عليهم بل (مهلهم) زمنا (قليلا) هو أجلهم لأزيدهم نعما فيزيدون كفرا فازيدهم عذابا (ان لدينا) أنواعا من العذاب (أنكالا) قيودا ثقالا لتقيدهم بالعالم المحسوس (وجحيما) أي نارا تحميها مع ثقلها اذ حميت قوتهم الشهوية والغضبية لاجل المحسوسات (وطعاما ذا غصة) يشب بالحلق لكفرهم بالاطعمة الساتغة لهم (وعذابا أليما) من ضرب الزبانية ولدغ الحيات والعقارب وغيرها للاخلاق الرديئة التي كانت لهم وان لم يدركوها اليوم لاستتار جهنم بالارض يدركونها (يوم ترجف) أي تضطرب بقوة الريح (الارض) فتخرج جهنم من تحتها (و) لا يمنع منه الجبال اذ ترجف (الجبال و) تعلوها قوة الريح حتى (كانت الجبال كثيبا مهيلا) أي رملا سائلا ولا يبعد مؤاخذتكم بالعذاب الدنيوي مع كونكم مثل فرعون (انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم) بلزوم الحجة الموجبة للمؤاخذة من عصيانكم (كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول) فصار شاهدا عليه (فاخذناه) في الدنيا (أخذا وبيلا) أي ثقيلا اذ أهلكناه واعطينا ملكه أعداءه فان اتقيتم اليوم عن مثل عذابه بان لا تدخلوا البحر كما دخله (فكيف تتقون) أي تحفظون من العذاب (ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) من أهواله وأصله ان الهموم تضعف القوى وتسرع بالشيب ويكفي من أهوال ذلك اليوم انه (السماء منفطر به) أي متشقق في ذلك اليوم وهذا وان كان ممكنا في الاصل صار بوعد الله واجبا اذ (كان وعده مفعولا) وليست هذه الكلمات تزهات لا يعبأ بها بل (ان هذه) الكلمات (تذكرة) موعظة تدعو للتقرب الى الله تعالى (فمن شاء اتخذ الى) القرب من (ربه سبيلا) بالاتعاظ بها فان زعموا انه انما يكون سبيلا الى الله تعالى لو وافق التوراة والمخالف كفرعون يستحق المؤاخذة يقال انما يستحق المؤاخذة من كفر بها أو ترك العمل قبل النسخ وأما من آمن وعمل قبل النسخ وترك بعده فلا كمن عمل بمنسوخ هذا الكتاب ثم تركه بعد النسخ كالتهجد (ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل) تارة (و) من (نصفه) تارة (و) من (ثلثه) تارة تختار الادنى بعد اخبارك والاعلى للعجز عنه (و) يقوم كذلك (طائفة من الذين معك) فيخرجوا من الامر به قبل النسخ (والله) تعالى نسخه بمقدار غير محدود اذ الله (يقدر الليل والنهار) مقادير مختلفة فلا يبعد ان يقدر عبادته بمقدار آخر غير ما قدره اولا كيف وفيه المصلحة كمصالح اختلاف مقاديرهما اذ (علم ان لن تحصوه) أي ان تحيطوا بتلك المقادير المعينة لصعوبتها (فتاب عليكم) بترك المقادير المعينة (فاقرؤا ما تيسر من القرآن) أي فصلوا مقدار قراءة يسيرة ثم نسخ غير المحدود أيضا بالصلاة الخمس بقوله (علم أن) أي انه (سيكون) بهذا القيام ولو غير محدود (منكم) أي بعضكم (مرضى و) سيكون بعض (آخرون يضربون) أي يسافرون سفرا ممتدا (في الارض يبتغون من فضل الله) للتجارة أو لطلب العلم والقيام يعطل عليهم ذلك (و) سيكون (آخرون يقاتلون في سبيل الله) والقيام ربما يوهن القوى ووجه الترتيب ان الاول يتعلق بالبدن والثاني بالبلد والثالث بالخارج (فاقرؤا ما تيسر منه) أي من القرآن (وأقيموا) بتلك القراءة (الصلوة) المفروضة من الخمس ولما لم يكن نصافي اجزاء أي قدر من المتيسر لم يعارض

العرب الفساد ومنه قول الشاعر
طبب الريق اذا الريق خدع
أي فسد فمن يخادعون الله
أي يفسدون بما يظهرون
من الايمان ما يضمرون

قوله عليه الصلاة والسلام لاصلاة الا بفاتحة الكتاب (وآتوا الزكوة) قطعا لمحبة المال تكميلا لما فات من كمال الصلاة بترك قيام الليل (و) لايشترط فى قطع هذه المحبة صرف الاموال الى الزكاة بل يكفى تكميل الله اياها لمن استقرضه (أقرضوا الله قرضا حسنا) لارياء فيه ولا عجب (و) لايمنع هذا من الزيادة على قدر الواجب بل (ماتقدموا لانفسكم من خير) من الصلاة النافلة والصدقة المتطوعة والقيام بالليل والصيام بالنهار (تجدوه عند الله هو خيرا) يجازيكم به فى الدنيا بحلاوة القرب (وأعظم أجرا) فى الآخرة (و) ان بقى مع ذلك صرف ذنب (استغفروا الله ان الله غفور رحيم) تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المدثر)

سميت به لدلالته على عظم أمر الوحى بحيث كان يرعد مرة بعد أخرى بحيث يوجب التدثر فى بعض الاوقات (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى المدثر لانها أوجبت ارتعاده الداعى الى التدثر (الرحمن) بجعله مخوفا بعد كونه خائفا (الرحيم) بامره بتكبير الرب والطهارة والصبر وغيرها *عن جابر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فترة الوحى فبينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فخشيت منه رعبا فقلت زملونى زملونى فدثرونى فانزل الله تعالى (يا أيها المدثر) أى المتغطى بثوبه خوفا من ملك الوحى حقك أن لاتخافه بل يخوف به الناس (قم) قيام جد (فانذر) الناس عذاب ربك (وربك فكبر) ليقع بقلوبهم عظمة عذابه لانها بقدر المعذب ولابد من هذه المبالغة فى التخويف ليكون ادعى الى تطهير الظاهر والباطن ولما كان نجاسة الظاهر من الامور الخارجية والباطن لايطهر الا بعد طهارته قدم طهارة الثياب فقال (وثيابك فطهر) حتى لايتلوث ظاهرك بنجاستها فتؤثر فى الباطن (والرجز) أى نجاسة الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الذميمة والاقوال الكاذبة والافعال القبيحة وسائر النجاسات المحسوسة (فاهجر) أى فجانب لتناسب الرب المنزه فتستفيض منه وتفيض على الخلق (و) من أعظم ملوثات الباطن الطمع لذلك (لاتمنن تستكثر) أى لاتعط أحدا شيأ تطلب عوضه أكثر فانه من الطمع الملوث للباطن (و) اذا غلبك طمع أو ملوث آخر (لربك) أى لطلب رضوانه وثوابه (فاصبر) فانه أجل عوض من المطموع فيه وكيف لاتصبر عن الملوثات وهى موجبة للشدائد فى أشد الايام ولايمكن الصبر عليها أصلا (فاذا نقر) أى نفخ (فى الناقور) أى الصور أو قرن آخر (فذلك يومئذ يوم عسير) أى فوقت ذلك النقر فى جملة أوقات يوم القيامة الذى هو أشد الايام وقت عسير لانسبة لعسر سائر أجزائه اليه لكن لايؤثر عسره فى المؤمنين فضلا عن المقربين بل انما هو (على الكافرين غير يسير) واذا علمت عسر هذا اليوم على الكافرين من قهرى عليهم فلا تستعجل عليهم قبل ذلك اليوم بل (ذرنى) أيها المأمور بالصبر بعد الانذار يوم النقر (ومن خلقت) فكان قابلا لقهرى وقد استوجبه اذ كفر بنعمتى بعد ما خلقته (وحيدا) ليس له مال ولا جاه ولا ولد والمراد الوليد بن

من الكفر كمال أفساد الله عليهم نعمهم فى الدنيا بما صاروا اليه من عذاب الآخرة (قوله عز وجل يزكيهم) يطهرهم (قوله عز

المغيرة (وجعلت) بطريق الانعام والتفضل (له مالا ممدودا) أي مبسوطا بالنماء من زرع وضرع وتجارة (وبنين شهودا) أي حضورا ينتفع بلقائهم لايسافرون لطلب المعاش استغناء بماله ولا يرسلهم الى مصالحه لكثرة خدمه وكان له عشرة أولاد أكثرهم رجال أسلم منهم ثلاثة خالد وعمارة وهشام وأخرهم عن ذكر المال لانهم بدونه ثقيل (ومهدت له تمهيدا) أي وبسطت له الرياسة والجاه العريض حتى لقب ريحانة قريش وأخر الجاه عن الاولاد لانهم من جملة أسبابه (ثم) مع ماعليه من كفران النعم (يطمع أن أزيد) نعمه (كلا) زجرله عن هذا الطمع (انه كان لآياتنا عنيدا) ومعاندة الآيات معاندة منزلها وهي تقتضي ازالة النعم فاين الزيادة قيل مازال بعد نزول الآية في نقصان ماله حتى هلك (سأرهقه) أي سأكلفه (صعودا) جبل من نار اذا وضع الكافر يده أو رجله ذابت فاذا رفع عادت لانه ترفع على آيات الله لسلوك طريقة شاقة من العناد وروى انه لما أنزل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله اليه المصير قام عليه السلام في المسجد والوليد بن المغيرة يسمع قراءته فاتى قومه فقال والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ليس من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو ولا يعلى عليه ثم خرج فقالوا صبأ والله الوليد ولتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل انا اكفيكموه فجلس الى جنبه حزينا فقال مالي ارالك حزينا يا ابن أخي فقال هذه قريش يجمعون لك نفقة بعينونك على كبرسنك يزعمون انك زينت كلام محمد لتنال من فضل طعامه فغضب وقال ألم تعلم قريش اني من أكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد وأصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل ثم قام مع أبي جهل حتى أتى قومه فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق قط قالوا اللهم لا قال تزعمون أنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه شاعر فهل رأيتموه ينطق بالشعر قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب قالوا اللهم لا قالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ماهو الا ساحر اما رأيتموه يفرق بين الرجل والمرأة وأهله وولده ومواليه ومايقوله سحر يؤثر فقال تعالى (انه فكر) في القرآن (وقدر) أي نظر في مقدار عظمته (فقتل كيف قدر) أي فبلغ مبلغا استحق من حاسده أن يدعو عليه (ثم) زاد في هذا المعنى (قتل كيف قدر ثم نظر) في أمر محمد (ثم عبس) أي قطب وجهه لما لم يجد فيه طعنا (وبسر) أي اهتم اذلم يدر مايقول (ثم أدبر) من النظر (واستكبر) على ما استعظمه من القرآن (فقال ان هذا) أي ماهذا القرآن (الا سحر) غايته انه قول (يؤثر) أي يروى ويتعلم (ان هذا) كان سحرا أولا (الا قول البشر) فهذا منه غاية العناد الموجبة غاية الغضب من أجله (سأصليه سقر) التي هي مظهر الغضب الالهي (و) هي من كمال مظهر يتهاله (ما أدراك) يا أعظم الخلائق (ما سقر) وغاية مايمكن من تعريفها انها (لا تبقي) من ألقي فيها حيا (ولا تذر) أي ولا تتركه ميتا أي محترقا بل يجدد جلده في كل مرة وهذا كما يترك المعاند الدليل جدلا ولا يقدر على منعه وانما قلنا لا تذر لانها (لواحة للبشر) أي مسودة للجلد فذلك في معنى الموت وثمة موت آخر وهو ضرب الزبانية اذ (عليها تسعة عشر) زبانية على عدد

وجل اليسر) ضد العسر وقوله عز وجل يريد الله بكم اليسر أي الافطار في السفر ولا يريد بكم العسر أي الصوم فيه (قوله عز وجل يؤلون من نسائهم) يحلفون على وطء

القوى الاثنى عشر الحيوانية الشهوية والغضبية والحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والسبع الطبيعية الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والنامية والغاذية والمولدة يصرف كل واحد منهم بمقتضى صرف تلك القوى عما خلقت من أجله ولما نزل قال أبو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم يخبركم ابن أبي كبشة ان خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أي الشجعان أيعجز كل عشرة أن يبطش بواحد منهم فقال أبو الاشداء أنا أكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني اثنين فنزل (وما جعلنا أصحاب النار) أي خزنتها المعذبين لاهلها (الا ملائكة) لايمكن مقاومة أحدهم لجميع البشر (وما جعلنا عدتهم) أي عددهم القليل (الا فتنة) أي اختبارا (للذين كفروا) هل يستيقنون فيعاندون أو يشكون أو يجزمون ببطلانها عن الجهل المركب لكن لاوجه للشك والجزم بالبطلان لانها (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) لموافقته ما في كتبهم (ويزداد الذين آمنوا) بتصديقهم (ايمانا) ليس استيقانهم بحيث يبقى معه شبهة لاتؤثر بل بحيث يوجب ان (لايرتاب) بوجه من الوجوه (الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) أي لايرتاب المؤمنون و) مع هذا يبقى الجهل المركب للمنافقين والكفار (ليقول الذين في قلوبهم مرض) أي شك ونفاق (والكافرون ماذا أراد الله بهذا) العدد المستغرب الواقع (مثلا) في الغرابة (كذلك) أي مثل هذا الضلال مع تيقن أهل الكتاب والمؤمنين (يضل الله) بخلق الجهل المركب (من يشاء و) مثل هذه الهداية عن الاطلاع على أسرار كتابه (يهدي من يشاء و) لاوجه لشكهم وانكارهم مع جهلهم بجنود الله اذ (مايعلم جنود ربك الا هو) وكيف لايكون في التيقن بهذه العدة هداية (وما هي الا ذكرى للبشر) انه يسلط عليه عددا من الزبانية بعدد ما اختفل عن قواه ومن ضل بقلة العدد يقال له (كلا) أي انزجر عن اعتقاد المهانة بهم (والقمر) الذي ينتظر غروبه للاغارة وهو مثال ذهاب الحياة الدنيوية التي يغار بعدها الذائذها السفلية (والليل اذ أدبر) فيدخل وقت الاغارة وهو مثال ذهاب حجب المحسوسات (والصبح اذا أسفر) فيدخل وقت الاغارة وهو مثال انكشاف عالم الغيب الذي ينكشف به مضار تلك اللذائذ فهذه أمور قليلة العدد مع ان كل واحد منها وقت الاغارة فيكبر أمرها (انها) أي ان هذه العدة (لاحدى الكبر) أي الامور الكبار التي لايكثر عددها بل يكون أحدها (نذير للبشر) كلهم ففيها هداية أو ضلال (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) وكيف لاتكون احدى الكبر مع انه (كل نفس بما كسبت) بهذه القوى (رهينة) أي محبوسة على أيدي هؤلاء الزبانية (الا أصحاب اليمين) فانهم بقوة روحانيتهم لما صرفوا قواهم الى الجهة العلوية صاروا (في جنات يتساءلون عن) ضعف (المجرمين) في مقاومة قواهم الجاذبة الى العالم السفلي يقولون لهم (ما سلككم) مع كمال عقلكم الذي يمكنكم مقاومة القوى في جذبها الى العالم السفلي لينجذب الى العالم العلوي (في سقر قالوا) لانا لم نصرف القوى المحركة الى الصلاة والزكاة الجاذبتين الى العالم العلوي اذ (لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) فلم نصرفها الى العبادة البدنية والمالية (و) لكن صرفناها في غير مصارفها اذ (كنا نخوض) أي

قوله لايمكن مقاومة الخ لو قال لايمكن مقاومة جميع البشر لاحدهم لكان أحسن اه

نساءهم يعني من الالية وهي اليمين يقال آلوة وإلوة وألوة وألية اليمين وكانت العرب في الجاهلية يكره الرجل منهم المرأة ويكره أن يتزوجها غيره فيحلف أن لايطأها أبدا

نشرع فى الباطل (مع الخائضين) متابعة لهم (و) جعلنا العقل تابعا للقوى الجاذبة الى العالم السفلى بحيث (كانوا لا يؤمنون بيوم الدين) الذى خلق العقل من أجله ولم نزل على ذلك (حتى أتانا اليقين) أى الموت فاذا جعلوا العقل تابعا للقوى الجاذبة الى عالم السفل بمتابعة الخائضين تكذيبا بيوم الدين (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) لو اجتمعوا عليها اذ لم تبق لقواهم قابلية تنور بنورهم واذا كانت هذه الكلمات بهذه الفوائد الجليلة المذكرة لما هم عليه (فما لهم) أى أى مانع حصل لهم عن التذكرة بحيث صاروا (عن التذكرة معرضين كأنهم) فى الاعراض عن البلادة (حمر) فى النفار عن استماعها (مستنفرة) ينفرها راعيها مع انها نافرة بأنفسها اذ (فرت من قسورة) أى عن الاسد لانهم يخافون أن يتأثروا بهذه التذكرة فتدعوهم الى الايمان بما أنزل على الغير وهم لا يريدون الايمان بما انزل على الغير (بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا) أى قراطيس (منشرة كلا) زجر لهم عن هذه الارادة اذ لم تكن من الشك فيما أنزل على الغير (بل) من أجل أنهم (لا يخافون الآخرة كلا) زجر عن ترك خوفها (انه) أى خوف الآخرة (تذكرة) بنفسها لو يخوف منها فانها تتضمن التخويف بنفسها (فمن شاء ذكره) أى خوف الآخرة (و) لكنهم لغلبة حب الدنيا عليهم وهو مخوف اذ (ما يذكرون) خوفها (الا أن يشاء الله) فانه يخافها لانها تدل على الرجوع اليه وهو مخوف اذ (هو أهل التقوى و) تقواه مفيدة للمغفرة اذ هو (أهل المغفرة) * ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين

ولا يخفى سهلها اضرارا بها فتكون علاقة عليه حتى يموت أحدهما فابطل الله عز وجل ذلك من فعلهم وجعل الوقت الذى يعرف فيه ما عند الرجل للمرأة أربعة أشهر

* (سورة القيامة) *

سميت بهذا لتضمنها غاية تعظيم ذلك اليوم من لا يتناهى ثوابه وعقابه بحيث يتحسر فيه كل نفس من تقصيرها وان عملت ما عملت (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى القيامة اذ تظهر فيه بما لا يتناهى من آثار جلاله وجماله (الرحمن) بجعل ثوابه وعقابه غير متناهيين (الرحيم) باعلامهم التلافى التقصيرات لدفع ما لا يتناهى من العقاب وجلب ما لا يتناهى من الثواب (لا أقسم) أى لا حاجة الى القسم (بيوم القيامة) الذى يتم فيه التحسر على التقصيرات (ولا أقسم بالنفس اللوامة) فى الدنيا أربابها على تقصيراتهم اذ كل انسان لا يخلو عن تقصير فى معرفة الله وعبادته ومن أعظم تقصيراته انه لا ينظر فى عواقبه (أيحسب الانسان) أن لا عاقبة له اذ لا بعث لاظنه انه مبنى على اعادة المعدوم التى يتوهم امتناعها عن شبهات واهية بل يحسب أن لا يكون بجميع الاجزاء المتفرقة أيضا فيظن (أن) أى انه (لن نجمع عظامه) المتفرقة (بلى) نجمعها (قادرين على) ما هو أعجب من الجمع وهو (أن نسوى بنانه) أى نهيئ سلاماه لاعمالها اليقع الجزاء على الهيئة التى صدرت الاعمال عليها ولا يحتاج فى هذا الى التعمق لكن الانسان لا يلتفت اليه لا يجابه التوجه الى الله تعالى والاعمال الصالحة له ولا يريد الانسان ذلك (بل يريد الانسان) قطع النظر عنه (ليفجر أمامه) أى فى المستقبل كما فجر فى الماضى فاذا أمر بالنظر المانع عنه (يسئل) الآمر (أيان) أى متى (يوم القيامة) الذى تأمرنى بالنظر فيه فانى

لا أنظر فيه مالم أعلم وقته لكن النظر فيه لا يتوقف على معرفة وقته بل يكفي له العلم بأنه لابد من لقاء الله ولقاؤه انما يكون يوم القيامة بظهور نوره فيه وكأنه يريد تأخير الايمان به الى وقته لكنه موجب للحيرة الداعية الى الفرار (فاذا برق) أى تحير لرؤيته (البصر) تحيره لرؤية البرق (و) كيف لا وقد (خسف) عند ظهوره (القمر و) ان كان لا ينخسف لرؤية الشمس بل (جمع الشمس والقمر) في الانخساف لانمحاء نورهما عند ظهوره فاذا رأى الانسان هذا النور المحير (يقول الانسان يومئذ) لعموم النور فيه الاماكن (أين المفر كلا) زجر له عن طلب المفر (لا وزر) أى لا ملجأ عن تحيره ولا عن سخطه بل (الى) نور (ربك) في كل مكان (يومئذ المستقر) وبه يظهر ما يوجب سخطه اذ (ينبؤا الانسان يومئذ) أى يوم ظهور نوره المظهر للاشياء (بما قدم) أى عمل (وأخر) فلم يعمل مع انه لا حاجة الى انبائه بذلك (بل الانسان) مطلع عليه بنفسه لانه (على نفسه بصيرة) أى كاملة النظر بما فيها (ولو ألقى معاذيره) الكاذبة عند الانباء وذلك الانباء من اطلاعهم على نور الحق مع تحيره اياهم كاطلاعك على أسرار الوحى مع تحيرك عنده حتى قيل لك (لا تحرك به) أى بما نبئت به حال حيرتك بالوحى (لسانك لتعجل به) أى تحفظه خوفا من فواته عن التحير (ان علينا جمعه) في قلبك بعد ما تيه (وقرآنه) أى تصويره بصور الحروف (فاذا قرأناه) بتصوير حروفه (فاتبع قرآنه) بالاستماع اليه (ثم) ان بقى فيه اشكال (ان علينا بيانه) فان زعموا ان غاية ما يحصل لهم يومئذ الحيرة من رؤية نور الحق كحيرتك من رؤية جبريل ولا يفضى ذلك الى عذاب يوجب الفرار بل هو ملذة عظيمة هي اقصى آمال المقربين اليه يقال لهم (كلا) زجر عن تمنى اللذة (بل) لا تحصل لهم رؤية أصلا لانهم (يحبون العاجلة) فيصير حبها حجابا لهم (ويذرون الآخرة) فلا يعملون لها عملا يفيدهم نورا يرون به نوره عز وجل ولا تحصل لاهل الكمال حيرة من رؤيته بل لهم (وجوه يومئذ) اظهور أنوار الاعتقادات والاعمال فيه على تلك الوجوه (ناضرة) أى مشرقة فهى بقوة ذلك النور (الى) نور (ربها ناظرة) عيانا بلا حجاب ولا حيرة وتأويل الآية بانتظار الانعام مردود لان الانتظار لا يسند الى الوجه ولا يعدى بالى (و وجوه يومئذ) تقع في الحيرة الموجبة للفرار لو حصل لها رؤية لانها (باسرة) شديدة العبوس فلا تناسب ربها في النورية ولها حيرة من أعمالها الطالحة وتقصيراتها عن الصالحة (تظن) أى تتوقع من أجل ذلك (أن يفعل بها فاقرة) أى داهية تكسر الفقار فانى يكون لها لذة الرؤية لو رأت وان زعموا ان هذه الامور من خصائص يوم القيامة لو وجد لكن لا وجود له ولا تكون قبله يقال لهم (كلا) بل تكون عند الموت أيضا فانه (اذا بلغت) النفس (التراقى) عظام الصدر (وقيل) أى قالت الملائكة (من راق) يرقى بروحه أملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (وظن) المحتضر (انه الفراق) فراق الدنيا ولذاتها (والتفت الساق بالساق) أى التوت شدائد الدنيا بشدائد البرزخ كالتواء الساق بالساق (الى

(قوله عز وجل يكلم الناس) يكلمهم في المهد وكهلا) يكلمهم في المهد آية وأعجوبة ويكلمهم كهلا بالوحى والرسالة والكهل الذى

ربك) الموجب لهذا التصير من رؤيته ومن سائر الشدائد (يومئذ) قبل القيامة (المساق) سوق العبد الآبق ويزيده حيرة سؤاله فاذا سئل عن اعتقاداته وأعماله (فلا صدق) بالله وآياته ورسله (ولا صلى) الصلاة التي هي رأس العبادات (ولكن كذب) بدل التصديق (وتولى) بدل الصلاة التي بها كمال التوجه الى الله تعالى (ثم) مع هذه التقصيرات في جنب الله (ذهب الى أهله يتمطى) أي يتبختر فيقال له (أولى لك) المعاقبة (فأولى) الزيادة في البرزخ (ثم) في القيامة (أولى لك فأولى) فأني لمرؤية الله والتنعم بها (أيحسب الانسان) باعتقاده مشاركة الكل المؤمنين في التنعم برؤية الله تعالى (أن يترك سدى) أي مهملا لا يجازى على أعماله ولا يسئل عن نعمه كانه لم ينعم عليه (ألم يك نطفة) أي ماء قليلا (من مني يمنى) أي يصب في الرحم (ثم كان علقة فخلق) اعضاءه منه (فسوى) تلك الاعضاء لاعمالها وجعلها مختلفة بل وضع أصلها على الاختلاف (فجعل منه الزوجين) ليدل اختلافهما على اختلاف الجزاء وذلك بحسب كمال القوة النظرية والعملية ونقصهما كما جعل منه (الذكر والانثى) ولا ينكر ذلك الا من العاجز لكن (أليس ذلك) الذي قدر على احياء النطفة والعلقة لعمارة الدنيا (بقادر على أن يحيي الموتى) لعمارة الآخرة على الابد * ثم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

انتهى شبابه يقال اكتهل الرجل اذا انتهى شبابه

(قوله عز وجل يصروا على ما فعلوا) أي يقيموا عليه

(قوله عز وجل يخص الله

(سورة الانسان)

سميت به لتضمنها ان الانسان ينقل من ادنى الاحوال الى أعلى الدرجات بلا عمل ولا اعتقاد فكيف لا ينقل اليها بالاعمال الصالحة والاعتقادات الصائبة ولو تركهما ينقل الى أدنى مما كان عليه (بسم الله) المتجلي باشراق أنوار ذاته وصفاته في الانسان (الرحمن) بهدايته السبيل (الرحيم) بترتيب الجزاء عليها (هل أتى) من القهر (على الانسان حين) طائفة محدودة من الزمان (من الدهر) الزمان الغير المحدود (لم يكن) فيه (شيأ) ثابتا في الخارج بل لم يكن (مذكورا) في الذهن فضلا عن اللفظ والخط ثم كان حين وجوده مقهورا القدرتنا (انا خلقنا الانسان) مقهورا بالذلة في أصله المادي اذ كان (من نطفة) وفي منشأ مادته اذ كان من (أمشاج) أي مختلط من ماء الرجل والمرأة حاصل من جماعهما وفيه ذلة ثم حين فاضت عليه الصورة الانسانية كان مقهورا بالابتلاء اذ كان (نبتليه) هل يصير عارفا بربه عابدا له أم لا (فجعلناه) لتحصيل مقدمات المعرفة والعبادة (سميعا بصيرا) لننظر هل يصرف سمعه وبصره الى استماع آيات الله والنظر فيها ثم (انا) ابتليناه بالدلائل العقلية والنقلية اذ (هديناه السبيل) أي سبيل المعرفة والعبادة فجعلناه (اما شاكرا) يقبل نعمة الهداية (واما كفورا) يردها ثم اذا كفر يتحقق عليه انواع القهر الالهي لا متأخرة الى الآخرة من كل وجه بل معدة قبلها (انا أعتدنا للكافرين) لانكارهم الصانع القديم الموجب لتسلسل الحوادث (سلاسلا) لحبسهم الادلة أن تمشي طرقها (أغلالا) لخرقهم

وجوه

وجوه دلالتها (سعيرا) والشاكر اما من الابرار أو المقربين بالاعمال أو الاحوال (ان الابرار يشربون من كأس) أى خمر ابدل السعير (كان مزاجها) بدل حرارة السعير وتنته (كافورا) أى بماء عين الكافور ذى البرودة والرائحة الطيبة وكانت عين الكافور (عينا) مخصوصة تجرى بالاعمال ولذا (يشرب بها عباد الله) المقربون لكونهم أرباب اليقين البارد أولى الروائح الطيبة وكيف لا وهم (يفجرونها) فى الدنيا بأعمالهم (تفجيرا) لانفسهم ولمن دونهم وذلك انهم (يوفون بالنذر) أى بكل ما ألزموا أنفسهم من الوظائف التى هى فى الاصل نوافل (و) يأتون بنوافل لم ينذروها لانهم (يخافون) لو تكاسلوا ان يلقهم ظلمات الطبع الداعية الى المعاصى التى تضرهم (يوما كان شره مستطيرا) أى منتشرا (و) قد بالغوا فى قطع الشح المطاع من جملة تلك الظلمات اذ (يطعمون الطعام) غالبين (على حبه مسكينا) عجز عن تحصيله (ويتيما) وهو أعجز منه (وأسيرا) هو أعجز منهما وان صاروا فى الاحتياج اليه مثلهم * عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الحسن والحسين رضى الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت عن ولدك فنذر على وفاطمة وفضة جارية لهما رضى الله عنهم صوم ثلاثة أيام ان برئا فشفيا فصاموا وما معهم شئ فاستقرض على من شمعون الخيبرى ثلاثة أصوع من شعير فطحنت فاطمة رضى الله عنها صاعا وخبزت خمسة اقراص فوضعت بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام وقف عليهم يتيم فآثروه ثم وقف عليهم فى الثالثة أسير ففعلوا مثل ذلك فنزل جبريل عليه السلام بهذه السورة وقال هنالك الله فى أهل بيتك وقد صرحوا فى ذلك بقطع ظلمات الطبع اذ قالوا (انما نطعمكم لوجه الله) اذ (لا نريد منكم جزاء) أى عوضا محسوسا (ولا شكورا) أى ثناء هو عوض معنوى اذ يعود معه ما ظلمة الطبع فيعود خوف اليوم المذكور (انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قطريرا) شديد العبوس وانما وصف اليوم ههنا بعد ما وصفه بما يشعر تصور الشح المطاع لانه يوهم منه انهم قصدوا بذلك دفع الحياء من جمع ذلك بالشح المطاع وهو يتضمن الرياء بما ذكر لان الايثار لذلك رياء وهو أشد من ترك الايثار من أجل الشح لان الشح ليس بشرك والرياء شرك (فوقاهم الله) الذى خافوا منه أن يبتليهم بشر يوم القيامة (شر ذلك اليوم) مع كونه مستطيرا (و) لم يوصل اليهم أثر كونه عبوسا قطريرا بل (لقاهم نضرة) حسنا بدل العبوس القمطرير (وسرورا) فى قلوبهم بدل الاحزان (وجزاهم بما صبروا) على وفاء ما التزموا عن المعاصى (جنة) بدا السعير (وحريرا) من ظهور صفاتهم الناعمة من أعمالهم (متكئين فيها على الارائك) ليكونوا كالملوك جزاء على ما عبدوا ربهم (لا يرون فيها شمسا) حرارتها (ولا زمهريرا) برودته جزاء على ما تحملوا من مشقة العبودية بل يصيرهوا وهم معتدلا لتعديلهم الاخلاق والاعمال (ودانية) أى قريبة (عليهم ظلالها) أى ظلال أشجار الجنة التى هى جزاء أعمالهم التى تقربوا

(الذين آمنوا) أى يخلص الله الذين آمنوا من ذنوبهم وينقيهم منها بقال محص الحبل يمحص محصا اذا ذهب منه الوبر حتى يتخلص

بها الى الله تعالى (وذللت) لتذللهم لله وللمؤمنين (قطوفها) أى قطوف ثمارها (تذليلا) بمقدار تذللهم (و) لاستصحابهم أوانى وكيزانا للوضوء (يطاف عليهم بآنية من فضة) لافادة الوضوء بياض اعضائهم (وأكواب) أى كيزان (كانت قوارير) فى الصفاء لتصفية الوضوء القلوب وكانت فى البياض (قوارير من فضة قدروها) معتدلة لتعديلهم الوضوء اذلم يقصروا عن الاسباغ ولم يسرفوا فى الصب (تقديرا) بقدر رعايتهم للاعتدال (ويسقون) أى هؤلاء المقربون بالاعمال (فيها) أى فى تلك الاوانى التى اعطوها على استصحاب أوانى الوضوء المفيد للصفاء المقتضى نوع اشتياق (كأسا) أى خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) أى ماء عين الزنجبيل وكانت (عينا فيها) أى فى الجنة (تسمى سلسبيلا) تسمية لها بحال أصحابها مقربى الاحوال الغالب عليهم الشوق المانع من الوقوف بحال أو مقام مخصوصين بل لا يزالون طالبين للترقى بقوة الشوق لا بأنفسهم بل بربهم كأن كل واحد يقول لنفسه دائما سل ربك سبيلا اليه فاصل العين لمقربى الاعمال ومزجها لمقربى الاحوال (و) لما كان الغالب على مقربى الاحوال رؤية الحق بلا مظهر وعلى مقربى الاعمال رؤيته بالمظاهر (يطوف عليهم ولدان مخلدون) أى مقرطون (اذا رأيتهم حسبتهم) من ظهور نور الجمال الالهى عليهم (لؤلؤا منثورا) ينعكس شعاع بعضهم على بعض (واذا رأيت ثم) أى فى السلسبيل وأهله ودرجاتهم (رأيت نعيما) فوق نعيم مقربى الاعمال (وملكا كبيرا) يتصرفون به فى مقربى الاعمال ومن دونهم لما غلب عليهم من التخلق بأسماء الله والتحقق بها فصارت صفات ثم ظهرت بصورة اللباس عليهم لذلك صاروا (عاليهم ثياب سندس) رقيق فيما لطف ظهوره (خضر) اذ أفاده خضرة العيش (واستبرق) غليظ حيث تم ظهوره (وحلوا) لصفاء مودتهم (أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا) عن محبة غيره فيقال لهم (ان هذا كان لكم جزاء) على محبتكم لله وتخلقكم بأسمائه وتحققكم بها وسيركم اليه بالاحوال والمقامات (وكان سعيكم) اليه بالاحوال والمقامات من غير وقوف على أحدهما (مشكورا) مقبولا مفيدا للمزيد ثم ان الله عز وجل جمع كمالات الكل لنبينا صلى الله عليه وسلم اذ جعل كتابه مشتملا على جميعها فقال (انا نحن) من مقام جمعيتنا (نزلنا عليك) أيها المستعد للجمعية الكاملة (القرآن) الجامع (تنزيلا) مفرقا له لتجتمع فيك الكمالات المتضادة فى الازمنة المختلفة واذا أمرت بجمعها فصعبت عليك (فاصبر لحكم ربك) الذى ربك للكمالات (ولا) تبطل استعدادك لها بمصاحبة عاص فانه يقطع الجمعية كاحباط الكافر فلا (تطع منهم آثما أو كفورا) أى أحدهما (و) يتيسر لك جمع الخيرات بالمداومة على ذكر الله (اذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) بقيام الليل بتطويل السجود والتسبيح (من الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) فنزول القرآن مع هذه الاعمال يعينك فى الجمعية اذا قطعت النظر عن أهل المعصية (ان هؤلاء) أى أهل المعصية (يحبون) اللذات (العاجلة) فيثقل عليهم تركها سيما مع احتمال أمر ثقيل من الاجتهاد بالمداومة

وحبيل محمص وملص وأماص وقولهم ربنا محمص عنا ذنوبنا أى اذهب ما تعلق بنا من الذنوب (قوله عز وجل يطوفون ما يخلوا به

على الذكر والقيام (و) لكنهم (يذرون) كانهم يجعلون (وراءهم يوما ثقيلا) لاستبعادهم وجوده ولا وجه له اذ (نحن خلقناهم و) لا وجه لنفي ثقله وشدته اذ (شددنا أسرهم و) ان فرض عدم ذلك اليوم فلا يأمن العاصي عذاب الله فانا (اذا شئنا) أهلكناهم ولو احتجنا الى أمثالهم (بدلنا أمثالهم تبديلا) حسنا يكون المبدل خيرا من المبدل عنه (ان هذه تذكرة) تذكر فوائد القرب من الله ومضار البعد منه (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) ليصل الى تلك الفوائد ويهرب عن تلك المضار (و) لكن (ما تشاؤن) سلوك سبيل الله (الا) وقت (ان يشاء الله) ان يسلكهم سبيله قسرا لكن لا يشاء لعلمه باستعداد أعيانهم انها لا تستعد لسلوك سبيله (ان الله كان عليما) وهو ان قدر على خلاف ذلك لا يخالفه لكونه (حكيما) وهو خلاف الحكمة لكن ذلك لا ينافي مشيئته واختياره لذلك (يدخل من يشاء في رحمته) فيسلك بهم سبيله (و) يخرج عنه (الظالمين) لانه (أعد لهم عذابا أليما) *تم والله الموفق والمالهم والحمد لله رب العالمين والصلاة السلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

(سورة المرسلات)

سميت بها لتضمنها الدليل على ان ما يتوهم من الافعال كونه خيرا أو لا ينقلب شرا آخرا (بسم الله) المتجلي بجلاله وجماله في الرياح (الرحمن) بجعلها دليل انقلاب ما يتوهم خيريته شرا (الرحيم) بجعلها ملقية ذكر الله عذرا أو نذرا (والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا) اقسم الله سبحانه وتعالى بالرياح التي يرسلها احسانا في الظاهر على أهل السفن لينتفع بها المسافرون والحاضرون فعصفت عليها فأهلكتها على وقوع ما يوعدون على الافعال التي ترى ارياحا دنيوية باهلاك أربابها اهلاك أهل السفن (والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا) واقسم بالرياح التي ينشر هالرحمة المطر فتفرق السحب فتلقي مطرا مخصبا فيوجب ذكر الله شكرا ماحيا لاساءة اتباع الشهوات فيصير عذرا أو مطرا مهلكا فيوجب ذكر الله خوفا (انما توعدون) على الافعال التي ترى منافع اخروية ولا يعلم ما يقارنها او يلحقها من أسباب الخير والشر (لواقع) ولا يغتر بحسن بعض الافعال في الحال فغايته انه كضوء النجوم (فاذا النجوم طمست) فذهب ضوءها يذهب حسن تلك الافعال (و) لا ينافي احكامها في زعم فاعلها فانه يذهبه (اذا السماء فرجت) أي صدعت (و) لا ينافي تفتيتها في زعم فاعلها بالادلة فانه ينسف أدلته (اذا الجبال نسفت) ونسف الجبال لأجل الريح المغلبة للنار المصدعة للسماء المذهبة ضوء النجوم (و) بالجملة يقع (اذا الرسل اقتت) أي عين وقت شهادتهم وقيل (لاي يوم اجلت) شهادتهم فيجاب بانه (ليوم الفصل وما ادراك ما يوم الفصل) فانه لا يمكن بيانه الا بهذه الحوادث التي تقع فيه من شدة غضب الله على المكذبين (ويل يومئذ) فوق ما يقع على هذه الاجرام (للمكذبين) وكيف ينكر الويل الاخروي للمكذبين وقد وقع نظيره في الدنيا (الم نهلك) المكذبين (الاولين) كقوم نوح وعاد وثمود (ثم نتبعهم

يوم القيامة) قال النبي صلى الله عليه وسلم يأتي كنز أحدكم شجاعا أقرع له زبيبتان فيطوق في حلقه ويقول انا الزكاة التي منعتني ثم ينهشه (قوله عز

الآخرين) كقوم لوط وشعيب وموسى وغيرهم (كذلك) أى مثل ذلك الاهلاك الدنيوى (نفعل) يوم القيامة (بالمجرمين) كلهم لكنه يكون بحسب شدة ذلك اليوم (ويل يومئذ للمكذبين) من الاولين والآخرين المهلكين فى الدنيا وغيرهم فان زعموا ان الامر الاخروى انما يقاس على الامر الدنيوى بعد ثبوته لكنه بعيد يقال لهم لاوجه لاستبعاده فانه أيضا مثل الخلق الدنيوى (الم نخلقكم من ماء مهين) كهانة لحوم الاموات وعظامهم الرميمة ولا يمنع من احيائها طول مدة لبثها فى الارض فانه كمدة لبث النطفة فى الرحم فانا استقررنا الماء المهين (فجعلناه فى قرار مكين) هو الرحم (الى قدر) أى مقدار من مدة الحمل (معلوم فقدرنا) على احياء ذلك الماء المهين بعد لبثه فى الرحم هذه المدة المديدة (فنعم القادرون) على احياء اللحوم والعظام بعد لبثها مدة مديدة فى الارض (ويل يومئذ للمكذبين) هذه القدرة بعد ظهور نظيرها فان زعموا ان ذلك لخاصية الرحم والا فالنطفة لو جعلت فى الارض لم يتولد منها انسان يقال (الم نجعل الارض كفاتا) أى كافتة ضامة (احياء) كالحشرات (واموانا) كالجمادات (و) ان زعموا انه ليس فى الارض لطافة المنى التى باعتبارها يتولد منه الانسان وانما يتولد منها سائر الحشرات يقال فى الارض ماهو فى غاية الغلظ ويتولد منه ماهو فى غاية اللطافة اذ (جعلنا فيها رواسى) أى جبالا (شامخات) أى مرتفعة لصلابتها (و) أخرجنا منها ماهو فى غاية اللطافة اذ (أسقيناكم) من تحتها (ماء فراتا) فلا يبعد ان يخلق من الارض ماله لطافة المنى فيخلق منه الانسان مرة اخرى (ويل يومئذ للمكذبين) قدرته على خلق الانسان مرة اخرى بهذه الشبهات الواهية بحيث يقال لهم (انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون) من الجزاء (انطلقوا الى ظل) أى دخان (ذى ثلاث شعب) شعبة تقف فوق الكافر واخرى عن يمينه واخرى عن شماله على عدد الشبهات المذكورة المهلك الاولين الم نخلقكم الم نجعل الارض أو على عدد القوى المؤدية الى هذا العذاب الوهمية التى فى الدماغ والغضبية التى فى يمين القلب والشهوية التى فى يساره (لاظليل) يدفع الحر (ولا يغنى) أى لا يدفع شيأ (من اللهب) فضلا عن الحر (انها) أى النار التى لها هذا اللهب (ترمى) من افراط غضب الله عليهم (بشرر) ما تطاير من النار (كالقصر) فى عظم المقدار (كانه) فى اللون والتتابع وسرعة الحركة (جمالة) ابل (صفر) لما فيها من النارية (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الجزاء وكيف لا يكون غضب الله عليهم الى هذا الحد بعد ما لزمهم الحجة المؤدية للذهاب الى هذا الظل بحيث يقال (هذا يوم لا ينطقون) بدفع شئ مما لزمهم (ولا يؤذن لهم) فى الاعتذار بالاعذار الواهية (فيعتذرون) بل انما يؤذن بالاعذار القوية وهم لا يجدونها لتكذيبهم فى الدنيا بالحجج وتمسكهم بالشبه (ويل يومئذ للمكذبين) بالحجج لاجل الشبه ثم يقال لهم (هذا يوم الفصل) بين الحجج والشبه (جمعناكم والاولين) فيه للانصاف (فان كان لكم كيد) فى تلبيس الحجج بالشبه والشبه بالحجج (فكيدون) ان تأتى لكم هى كما تأتى مع ضعفاء

وجل يحرفون الكلم) (قوله يقلبونه ويغيرونه) أى عزوجل يقصرون وقوله عزوجل وهم لا يفرطون أى لا يضيعون ما أمروا به ولا

الانس (ويل يومئذ للمكذبين) بهذا الفصل اعتمادا على كيدهم فلم يهتموا بتمييز الحجج عن الشبه ولذلك يقال لهم حين مايصار بهم الى ذلك الظل (ان المتقين) أى الذين خافوا ان يلتبس عليهم الحجج بالشبه والشبه بالحجج (فى ظلال) تدفع عنهم حر الحراذ كانوا مستظلين بالادلة المفيدة بردا اليقين (وعيون) تدفع عنهم حر العطش لما تفجر من حججهم عيون المعارف اليقينية (وفواكه مما يشتهون) تدفع عنهم حر الجوع لشبعهم من التحقيق فيقال لهم ضما للثواب العقلى وهو الاكرام الى الحسى (كلوا واشربوا هنيئا) لايشوبه تنغيص كتنغيض الشبه (بما كنتم تعملون) من تخليص الحجج عن تنغيص الشبه وانما تيسر لكم ذلك لنظركم الى الله (انا كذلك نجزى المحسنين) الناظرين الى الله فى أعمالهم (ويل يومئذ للمكذبين) بفائدة تمييز الحجج عن الشبه والشبه عن الحجج فى الآخرة فان زعموا ان هذا انما يقال لهم يوم القيامة فى زعمكم وهم يحرمون الآن ونحن يطعمنا الله ويسقينا الآن ولا يعدان يديم لنا فيه ذلك يقال لهم (كلوا وتمتعوا) بالمنافع الدنيوية زمنا (قليلا) ولا يدوم لكم ذلك لكفركم بالمنعم (انكم مجرمون) والمجرم يستحق السياسة لا الانعام وليست عليكم فى الدنيا فهى فى الآخرة (ويل يومئذ للمكذبين) بأمر الآخرة لاجل الدنيا الفانية (و) كيف لايكونون مجرمين مع انهم (اذا قيل لهم اركعوا) أى صلوا شكرا لربكم على ماأنعم عليكم وتذللا له (لايركعون) اذ لايعترفون بنسبة النعم اليه ولا بوجوب الصلاة عليهم له (ويل يومئذ للمكذبين) بنسبة النعم الى الله ووجوب الصلاة شكرا له عليها واذا لم يؤمنوا بهذا الحديث العجيب المعجز المبين لكل مايحتاج اليه (فبأى حديث بعده يؤمنون) *تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

يقصرون فيه (قوله عز وجل يردوهم) بها لكوهم والردى الهلاك (قوله عز وجل ومايشعركم) أى يدريكم (قوله عز وجل يظهرها) أى يظهرها يجليها لوقتها

(سورة النبا)

عبر به لعظمته فى ذاته ووقوعه وتعقله بحيث لايزال مختلفا فيه وان بولغ فى بيانه (بسم الله) المتجلى بكمالاته فى نبا القيامة حيث ظهر للبعض بما فيه من الجمال وخفى عن البعض بما فيه من الجلال (الرحمن) بتعظيم شأنه لاصلاح أفعال عباده (الرحيم) بتأخيره باعتبار ذاته وتعقله عن العامة لئلا تتعطل امورهم (عم يتساءلون) سأل سبحانه وتعالى توبيخا وتبكيتا عن سؤال بعضهم بعضا عن حقائق الامور الاخروية البعيدة عن أفهام العامة ليفضى الى انكارها أو التشكيك فيها مع ان الايمان بها لايتوقف على ذلك ولابد منه لانهم يتساءلون (عن النبا العظيم) فى ذاته على السائلين وقوعا وتعقلا فهو (الذى) وان بولغ فى بيانه (هم فيه مختلفون) اختلافا لاينقطع اذ ينفيه بعضهم بالكلية ويجعله بعضهم عقليا وبعضهم خياليا وبعضهم حسيا وبعضهم طورا وراء ذلك والحق انه جامع فربما يفضى الى الانكار أو التشكيك (كلا) ردع لهم عن السؤال بقصد افضائه الى الانكار أو التشكيك (سيعلمون) فى البرزخ بطريق التخيل (ثم كلا) ردع لهم عن ان يعتقدوا انه حقيقته